الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مستغانم عبد الحميد ابن باديس
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات الأدبية

أدب الرحلة في النهضة العربية: " كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز" أنموذجا "رفاعة الطهطاوي"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في
تخصص: أدب عالمي ومقارن

من اعداد:
-بسقاري العالية.
- ترخي سارة.

تحت اشراف الأستاذة:
د مباركي هاجر

أ. هاجر مباركي
أستاذة الأدب المقارن
جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2021 - 2022

تشـــكر وعرفان

الحمد لله إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك..... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك... سبحانك لك الحمد ولك الشكر...

نشكر الله عز وجل الذي منحنا الصبر والقوة وقدرنا على إنجاز هذا العمل.

نتقدم بالشكر الكبير إلى أصحاب الفضل الحقيقي إلى عائلتينا الكريمتين.

ويسعد اللسان بالإشادة بمن رسم الطريق لهذا البحث وقدم يد العون وأنار البصيرة بالزيادة الحقة، فكانت الرسالة وصح التفكير.

الشكر الكبير بعد الله للأستاذة المشرفة "الدكتورة مباركي هاجر"، نطلب من الله تعالى أن يجازيها عنّا خير الجزاء وأن يديم عطاءها، لما قدمته من عون مستمر، ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث.

فإننا نتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة جزاهم الله خيرا. وأساتذة الأدب المقارن، وإلى كل من يستحق الشكر من قريب أو بعيد.

إهـــــداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى الانتهاء بعد تعب ومشقة، ها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل عزم وهمة، أهدي ثمرة تخرجي إلى من أحمل اسمه، إلى من علمني أن الدنيا صمود ومشاكلها دون حدود، والحياة كفاح والعلم سلاح، إلى مثلي الذي أقتدي به، إلى من ورثت طبعه وعصبيته، إلى من تمنيت رؤيته وعناقه فرحا يوم تخرجي، إلى الروح التي أردت أن أكحل عيني برؤيتها يوم تخرجي ووصولي إلى النهاية إلى الراحل الباقي في قلبي، من وفته المنية وأنا بحاجة إليه " أبي" رحمه الله وأنار قبره.

إلى من حملتني تسع أشهر، إلى من ضحت بعمرها من أجلنا، إلى من تعبت وتحملت الصعاب. إلى من أنارت درب طريقي بدعائها، إلى حبيبتي حفظها الله واطال الله في عمرها ورزقها الصحة والعافية "أمي" نبع الحنان.

إلى من أرى في عيونهم ذكريات طفولتي إخوتي.

إلى أبي الثاني وأمي الثانية (جدي وجدتي).

إلى كل الأهل والأقارب من كبير أو صغير، من بعيد أو قريب.

إلى الأستاذة المشرفة على البحث.

إلى أختي التي لم تلدها أمي "سارة"، التي كانت معي طريق الخير والنجاح، في السراء والضراء، حفظك الله.

إلى كل من يسعى في طلب العلم.

بسقاري العالية

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى والدي الغالي أطال الله في عمره، ورزقه الصحة والعافية.

إلى رمز الحنان والوفاء والعطاء أمي الغالية أطال الله في عمرها ورزقها الصحة والعافية.

إلى رفيق الدرب وصديق الأيام بحلوها ومرها زوجي المستقبلي.

إلى أخواتي الحبيبات كل واحدة باسمها وجميع أفراد العائلة.

إلى شقيقة دربي وشريكة فرحي إلى أختي التي لم تلدها أمي من تجلت بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء إلى من كانت معي على طريق النجاح والخير "العالية".

أتقدم بخالص شكري وعظيم احترامي إلى أستاذتي الغالية مباركي هاجر التي كانت خير سند ومعين أطال الله في عمرها.

إلى الأستاذة المشرفة.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي.

ترخي سارة

مقدمة

عرف الإنسان الرحلة والتنقل بفطرته التي جبل عليها منذ بدء الخليقة منذ هبط آدم وحواء إلى الأرض، فظهر أدب الرحلات ليشكل أحد أهم تجليات الثقافة لكل عصر وقد أدى الرحالة العرب مهمة سامية للأجيال القادمة، لذا تعد الرحلة من أهم العوامل التي ساهمت في النهضة العربية الحديثة، فشهد أدب الرحلة خلال القرن التاسع عشر رواجاً في المجتمع العربي، لكنه رغم هذا لم يحظى بالقدر الكافي من الاهتمام بل أهمل بعد ذلك.

امتد صدى أدب الرحلة في مطلع العصر الحديث، فمن أشهر الرحالة أحمد فارس الشدياق في رحلته " الواسطة في أخبار مالطا"، والطهطاوي الذي يعد من أشهر الرحالة في عصر النهضة، ورائد التنوير في العصر الحديث، يعتبر حلقة وصل بين الغرب والشرق.

تعتبر الحملة الفرنسية على مصر احدى المحطات التاريخية الهامة التي أدت البعثات العلمية من قبل العرب إلى العالم الغربي، حيث ألف الرحالة العرب المسلمين عدة كتب في شتى الميادين سواء كانت تاريخية أو أدبية أو اقتصادية، أو جغرافية...، تعد رحلة الطهطاوي أسمى الرحلات لما تحمله في جعبتها من شغف وحماس كبيرين، وذلك من أجل التطور والنهوض بالبلاد العربية. وتأسيسا على ما سبق ذكره جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على هذا النوع من الأدب للتعريف به والتعرف عليه.

خضع انتقاء موضوع بحثنا الموسوم ب: أدب النهضة العربية "كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز" أنموذجا " رفاعة رافع الطهطاوي"، لعدة دوافع منها موضوعية وأخرى ذاتية نذكر منها:

الدوافع الذاتية:

- الاهتمام الخاص بالرحة.
- التعرف على هذا النوع من الأدب والتعريف به.

الدوافع الموضوعية:

- التركيز على رفاعة الطهطاوي في رحلته إلى باريس التي دونها تحت عنوان " تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

أما الهدف من دراسة هذا موضوع البحث، إحياء هذا الجنس الأدبي، إثراء الدراسات ببلادنا وسد الفراغ الذي يعاني منه أدب الرحلة.

انكّبت هذه الدراسة على رصد موضوع الرحلة ومتعلقاته في مساحة الأدب، كما أنّها تحاول الكشف عن القيمة الفنية والجمالية لأهم وأبرز كتب الرحالة في العصر الحديث وهو "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وعليه يثير البحث عديدا من التساؤلات منها:

-ما مفهوم الرحلة؟

-ما أهمية الرحلة في التراث العربي؟

-كيف أثرت الآداب الغربية في أدب الرحلة؟

-وإذا اعتبرنا بعثة الطهطاوي رحلة، ما تأثير رحلته على بلاده وسائر بلاد العرب؟

لقد فرضت طبية الموضوع أن تكون خطة البحث كالآتي: مقدمة ثم الفصل الأول دراسة نظرية، والفصل الثاني دراسة تطبيقية، ثم خاتمة تتوج أهم النتائج المتوصل إليها، وفهرس للموضوع الذي احتواه البحث.

الفصل الأول عنون ب "الرحلة في التراث العربي"، تضمن تلاث مباحث، المبحث الأول معنونا ب " الرحلة في الدلالة المعجمية"، والمبحث الثاني معنونا "تجليات الرحلة في أدب النهضة العربية"، أما المبحث الثالث معنون ب "الأدب العربي بين التأثير والتأثر".

أما الفصل الثاني الموسوم ب " دراسة في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، أدرجناه ضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول موسوما ب "رفاعة الطهطاوي ودوره في حركة النهضة في مصر"، المبحث الثاني "كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز دراسة فنية وجمالية"، أما المبحث الثالث موسوما ب "الآنا العربية والأخر الغربي بين الائتلاف والاختلاف".

أما الخاتمة فهي استشفاف وتوضيح لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

اقتضت طبيعة البحث انتهاج سبيل الوصف والتحليل وعليه، يصنف منهج الدراسة على أنه وصفي تحليلي، معتمدين في ذلك أهم مصدر هو رحلة الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، إضافة إلى بعض المراجع الأخرى فؤاد قنديل "أدب الرحلة في التراث العربي"، "أدب الرحلة عند العرب" لحسني

محمود حسين، "الرحلة في الأدب العربي" لناصر عبد الرزاق الموافي، "ادب الرحلات"، وغيرها من المراجع التي زادت من إثراء الموضوع. إذا كان الحديث عن الصعوبات التي واجهت البحث، فإنّنا سنذكر قلّة المادة العلمية التي اهتمت بشكل عميق بأدب الرحلة وبما قدمه "رفاعة رافع الطهطاوي".

فرحلة الطهطاوي لعبت دوراً كبيراً، وكانت كتاباته ميداناً ثرياً لدراسة موسعة.

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة "مباركي هاجر" المشرفة على هذا العمل.

فما هذا إلا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال، سعينا من خلال هذه المساحة البحثية، البحث في موضوع أدب الرحلة، من خلال أبرز أعلام هذا الأدب عند العرب "رفاعة رافع الطهطاوي"، فإن أصبنا ذلك مرادنا، وإن أخطأنا لنا شرف المحاولة والتعلم.

الفصل الأول: الرحلة في التراث العربي

- ✓ المبحث الأول: الرحلة في الدلالة المعجمية
- ✓ المبحث الثاني: تجليات الرحلة في أدب النهضة العربية
- ✓ البحث الثالث: الأدب العربي بين التأثير والتأثر

الفصل الأول: الرحلة في التراث العربي

المبحث الأول: الرحلة في الدلالة المعجمية

أ/ مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا:

1. الرحلة لغة:

مارس الإنسان الرحلة منذ القدم نتيجة لظروف معيشته المختلفة، وسار تدوينها مع ألوان الكتابة المختلفة لها.

حيث جاء تعريف الرحلة لغة: ورد في أغلب المعاجم: ارتحل، يرتحل، ارتحالاً، ارتحل ارتحال الشخص عن البلد، رحلة جمع رحل، ورحلات. انتقال من مكان إلى آخر.

الرحلة تستأثر مادة "رحل" معجم لسان العرب بنصيب كبير من الشرح لكثرة استخدامها، وقد جاء في المعجم،[1] رحل البعير إذا ركبته .... رحل الرجل إذا ساع. وقوم الرحل إذا ارتحلوا، ومنه الترحل والارتحال.

وقد نلاحظ أن لفظ "رحل" قد تطور دلاليا عند استخدام العرب له، إذا اقترن في بداية الأمر بالبعير المسماة بالرواحل، حيث كانت تسير وتسهل عملية السفر والانتقال للإنسان، اقترنت بالإنسان المستخدم البعير.

فقيل رجل رحال ورحول، أي مكثر للارتحال كما أنها أطلقت أيضا على الأقوام الذين يقودوا على الرحلة فسموا قوما رحل.

"الترحُّل والارتحال: الانتقال: وهو الرِحلة والرُّحلة. والرحلة اسم للارتحال للمسير" [2].

والمرحلة: " المنزلة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة" [3] .

وقال البستاني في معنى رحل "رحل عن البلد يرحل رَحْلاً ورحيلاً، وترحَال شخص وسار، ورَحَلْتُ له نفسي أي صبرت على أذاه"[4] .

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، د.ت، مادة (ر. ح. ل).

[2] د. ناصر عبد الرزاق الوافي، **الرحلة في الأدب العربي** (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات – مصر، ط 2، 1999، ص.

[3] المرجع نفسه.

[4] بطرس البستاني: **محيط المحيط. باب الراء**، مكتبة لبنان ناشرون، رياض الصلح، ط، 1987، ص 227.

"استرحله، سأل أن يرحل له وطلب منه راحلة، الرَّاحلة من الإبل، الصالح للأسفار، الأحمال، الرُّحلة: ما يرتحل إليه ويقال رحلة المسلمين، الرُّحال: العرب الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى"[1] .

2. الرحلة اصطلاحا:

كثرت التعريفات وتعددت حول مصطلح "الرحلة" من قبل الباحثين والدارسين لتحديد مفهوم ثابت لها. وقد تنوعت التعريفات من بينهم:

الإمام الغزالي حيث عرفها ب "السفر" والرحلة نوع حركة أو مخالطة مع زيادة تعب ومشقة

وايضا عرفها بطرس البستاني بأنها " انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة ومتعددة [2] ، أما صلاح الدين الشامي فقد عرفها بأنها " انجازاً أو فعلاً فردياً أو جماعياً لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، إسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر يتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين " [3]. وإسقاط الحواجز والتعرف على الثقافات الأخرى، وبعبارة أخرى تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدفاً معين مادياً كان أو معنوياً، أما الحركة خلال الرحلة يقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار.

ووظيفتها الأساسية في رصد عادات وتقاليد السكان ووصف المناظر الطبيعية التي يشاهدونها وكل ما يصفونه من أمور عادية أم غريبة. هي مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يعترض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك، وأخلاق، لتسجيل دقيق المناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في أن واحد [4]. وأما أنجل بطرس فيعرفها " هي ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية وهي الرحلة التي يرتحل إليها الرحالة من بلدان العالم وبدون وصفا له ويسجل مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة وصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير[5].

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، **معجم الوسيط**، مكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د. ط، ص334-335.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] سميرة أنساعد، **الرحلة في مشرق الأدب الجزائري**. دراسة النشأة التطور والبنية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د. ط، ص31.

[5] بطرس أنجل، **الرحلات في الأدب الإنجليزي**، مجلة الهلال، العدد 7، 1975، ص 52.

فالرحلة هي فعل يقوم بها الإنسان إذ ينتقل من مكان إلى آخر، وذلك من أجل تحقيق هدف وغرض معين.

ب/ الرحلة في التراث العربي:

الرحلة ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية، إذا لا تخلو حياة المرء من الحركة والسفر والانتقال من موضع إلى آخر، الولادة في حد ذاتها رحلة ولوج هذا العالم الفسيح المتشعب، ولعل أولى الرحلات في حياة البشرية "رحلة آدم عليه السلام وزوجته حواء" من جنات عدن إلى الأرض، لتصبح الرحلة سنة في الحياة، «فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان، وقد هيأه الله لها وجعلها إمكانية ضرورية تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خُلِق لأجلها وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى"

[1]عرف العرب السفر ومارسوا الترحال من شبه الجزيرة العربية إلى بلدان أخرى، واشتهروا برحلتي الشتاء والصيف التي ورد ذكرهما في القرآن الكريم صيفاً إلى الشام وشتاء إلى اليمن، لقوله تعالى:" لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "سورة قريش، الآية 04، كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة في العراق والشام واليمن. وكما شاهدت الحضارة الإسلامية في مراحل ازدهارها رحلات مختلفة متنوعة، تحمس الكثيرون السفر[2] سواء للحج أو طلب العلم والتجوال، لأدباء وعلماء وجغرافيين غادروا ديارهم ليسيروا في أطراف الأرض وثناياها للكشف عن أسرار الكون ولاستزادة في الإيمان وخدمة للعلم والمعرفة، كما ألّف الرحالة العرب المسلمين كتبا هي زخم من المعلومات وفي شتى الميادين سواء كانت تاريخية أو عليمة، أو أدبية واقتصادية وجغرافية.... فهي مادة وفيرة تهم المؤرخين وعلماء الاجتماع والأدب. خاصة الجغرافيا فهما وجهان لعملة واحدة، الاجتهاد الجغرافي خرج مع رحلة وأحسن استثمار دوره الثقافي الوظيفي وسجل بداية مبكرة من أدب الرحلة [3]، إنَّ الرحلة كانت واثقة من صدق ومهارة الاجتهاد الجغرافي الذي لا يضلل الرحلة [4]، فالرحلة هنا تعمل وتثري هذا العلم بوصف الممالك والأصقاع والبلدان والأقاليم والمناخ كل هذا بفضل الإسلام الذي شجع على التنقل والارتحال في البر والبحر والانتفاع ونشر الدعوة فازدهار

---

[1] فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، دار العربية للكتاب. القاهرة، ط 1. 2، 2002، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 24- 25.

[3] صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافية المبصرة**، دار منشأة المبصرة، ط 2، 1999، ص 9.

[4] المرجع نفسه.

الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الاسلامي، كل ذلك من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات.

كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة تدل على الرحلة والتنقل، لأجل التأمل في خلقه والتدبر في كونه، فالاعتبار من الأقوام الأخرى واخذ الفائدة من الأحداث والوقائع التي مرت فكان السير في الأرض من مقتضيات الحياة، لقوله عز وجل:" قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين" سورة الأنعام، الآية 15.

ويقول أيضا: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور" سورة الملك، الآية 15. وفي موضع آخر يقول:" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم" سورة يوسف الآية 109.

ففي هذه الآيات الجليلة دليل واضح أن الله سبحانه وتعالى سخر لنا الأرض الارتحال والتنقل بين أقطار سرقها وغربها وجنوبها وشمالها وصولا إلى نعمها السطحية منها والدفينة، يقول الخضر الحسن:" إن الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرقي إلا بنه عليه وندب إلى العمل بها هذا شأنه في الرحلة فقد دعا إليها راميا إلى أغراض سامية منها طلب العلم والتفقه في الدين والمعرفة بأقوال الأمم"[1].

وقد جاءت في السيرة النبوية أحاديث تحث على السفر والارتحال منها قوله صلى الله عليه وسلم" سافروا تصحوا وتسلموا".

الهجرة والتنقل تضمن فوائد جمة كالأمن والأمان وضمان معاش أفضل من خلال اللجوء إلى أماكن أخرى يقضي فيها المرء حاجاته وتؤمن له سبل الحياة، فتخفف من مشاقة وتمنحه راحة ربما كان قد افتقدها في موطنه.

ترد كلمة "الفلك" في عدة آيات بما يدل على أن العرب كانوا على علم بها، لأنهم صنعوا السفن وأبحروا وتاجروا فاصطادوا من خيرات البحر. لقوله تعالى:" وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم انهار" سورة إبراهيم، الآية 32.

ويقول أيضا:" ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما" سورة الإسراء، الآية 66.

[1] حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، سلسلة عالم المعرفة، ص 12.

وفي موضع آخر يقول:" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" سورة البقرة، الآية 164.

وهكذا توجه الله عز وجل بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيدا، وقد كانت تلك الدعوات تشجيعا لهم على تحمل مشاق السفر، انتفاعا في البداية بالخيرات ثم بعد ذلك تدريبا على حمل الرسالة ونشر الدعوة، ولن تبلغ الرسالة كافة الخلق إلا بالسفر وقطع المسافات والطواف بالأمصار شرقا وغربا. وكانت احدى أسس الإسلام الخمسة هي حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وقال سبحانه وتعالى في سورة الحج الآية 27 " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق".

أنواع الرحلة:

نظرا للقيمة التي تحتلها الرحلة في جوانب الحياة العلمية والمعرفية، وبعدها عنصرا مهما الحياة الاجتماعية فأنواع الرحلة اختلفت من جهة الأسباب والدوافع، ومن جهة الحقيقة والخيال، إذ نجد أن هناك رحالة دونوا رحلاتهم التي قاموا بها، كانت رحلتهم من وحي الخيال لذلك تقسم الرحلات إلى نوعين:

- **الرحلات الواقعية:** هي رحلات فعلية قام بها الرحالة لغرض من الأغراض، تركز عادة على وصف المشاهد المحسوسة من واقع الحياة اليومية لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة، والتعرف على عادات وتقاليد وآداب وفنون وحضارات، ومن أشهر هذه الرحلات الرحلة إلى الحج كانت إحدى أهم الرحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج كما نعرف فريضة واجبة والرحلات الجغرافية مثل رحلة ابن بطوطة، رحلة الغرناطي، ورحلة الطهطاوي وغيرها .....
- **الرحلات الخيالية:** هي الرحلات التي يدونها أصحابها انطلاقا من الخيال تحت مكان وزمان متخيلين، يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية وإثارة الخيال مثل رحلة السندباد ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ومنها «ألف القصص الخرافية والأسطورية كما كتبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنحة وأساليب مشوقة بغرض التسلية وخلق أجواء من بناء خيالهم لإثارة المغامرة وتوسيع الخيال»[1].

[1] خامسة علاوي، **العجائبية في أدب الرحلات**، رحلة ابن فضلان أنموذجا، شهادة ماجيستر، ص 5.

وفيها يجنح إلى صوغ أفكار و تأملات معينة تتماشى مع المقولات والتصورات الصوفية والفلسفية والدينية التي ترسخ رحلة في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا الواقع وصول إلى المنطق واليقين. [1]

أغراض الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم، ومن عهد لعهد[2]، فالإنسان في كل الأحوال لا يكف عن السؤال .... كيف، ولماذا؟ ومع تقدم الوعي وتجدد الحاجات، تزداد رغبة إنسان في السؤال، وفي الانتقال والسفر، وتتنوع الأغراض التي تدفع لهذا السفر نذكر منها:

- **دوافع دينية:** كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن والتوبة، وتطهير للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة، ومن قبل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر[3].
- **دوافع علمية أو تعليمية:** كثير من الناس قاموا برحلات بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذات صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، قد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي، ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا، فما أكثرهم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف.
- **دوافع سياسية:** كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب السلام أو تمهيداً لفتح أو غزو[4].
- **دوافع سياحية وثقافية:** تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر ذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر،

---

[1] ياسمينة فرابي، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري**، الماجستير في اللغة والأدب العربي، 2012 / 2013، ص 38.

[2] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

[4] المرجع نفسه، ص20.

واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب.

- **دوافع اقتصادية**: للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر، وقد يكون هرباً من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل.
- **دوافع صحية**: كالسفر للعلاج أو الاستشفاء، أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هرباً من وباء أو طاعون، أو تلوث.[1]

الرحالة العرب وأشهر رحلاتهم:

كان الرحالة دور عظيم في نقل صورة حية عن حاضر المجتمعات السابقة، دورهم لم يكن هينا، وثانويا، بملاحظاتهم الهادفة والدقيقة سادت العالم وساهمت في تأويل العلم «كلها سمات أصبحت الآن بمثابة قواعد أساسية من منهجية البحث الحقلي في الدراسات الأنثو جغرافية بالمعنى الحديث».[2]

يعتبر الرحالة ابن جبير من بين الرحالة الذين نقلوا لنا صورة صادقة عن الأمم السابقة «نقل لنا صورة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق العربي وعن عادات السكان وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية، وأحوالهم النفسية»[3]. لقد كان من بين هؤلاء الرحالة أدباء، فلاسفة، وتجار، ورجال الدين، وملاّحين، وطوافين من هواة السفر أو المغامرة، فقد كان سيادة المسلمين للعالم في ذلك العصر سلطة عظيمة، رقعة شاسعة مما أتيح للرحالة المسلمين للعالم فرصة التعرف، وحرية التنقل على كثير من أماكن ومسالك هذه المدن. «كما أتيح للمسلمين في العصور الوسطى أن يجوزوا قصب السبق في ميدان الرحلات، والاكتشافات الجغرافية»[4]، وكما أفادت أوروبا من علومها، فالمسلمون لم يتركوا بلادا إلا واطلّعوا عليها رغم الصعوبات حيث بدأ المسلمون في القرن الثالث عشر ميلادي، يؤلفون في تقويم البلاد من الأقاليم ويصفون أجزاء امبراطوريتهم وما يجاورها من أقاليم «ويكفي أن جل الجغرافيين في القرن الرابع الهجري كانوا رحالة».[5]

---

[1] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 20/ 21.

[2] حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، علم المعرفة، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

[4] المرجع نفسه.

[5] زكي محمد حسين، **الرحالة المسلمين في العصور الوسطى**، مؤسسة هنداوي للثقافة، مصر، 2012، ص 9.

اتسع نطاق الرحلة عند المسلمين اتساعا لم يبلغ عنده شعب آخر، فقد ولّت رحلاتهم إلى أصقاع العالم المعروف، ووصلت رحلاتهم إلى بحار الصين، وآسيا الوسطى، وسواحل بحر البلطيق، والأندلس، وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، وساحل أفريقيا الشرقي جزر المحيط الهندي، وذكر المستشرق الروسي " فلاديمير مينورسكي"، أن أخبار الرحالة العرب وقصصهم أكثر تنوع وتفصيلا، واحد حيوية مما نجده في كتب اليونان، والرحالة البندقي " ماركوبولو". إن عملهم الذي ضمنه كتبهم أعظم اختيار ونقدا وأكثر تفاصيل ممّا ورد في كتابات الرحالة "ماركوبولو"، من بين الرحالة الذين جالوا العالم نذكرهم:

1. **ابن حوقل**: هو أبو القاسم محمد بن حوقل أو محمد بن علي النصيبي أو النصيبيني [1]المعروف بأبي قاسم ولد في مدينة نصيبين الكردية، ولد في نصيبين في شمال شرق الجزيرة الفراتية ضمن الحدود التركية اليوم كاتب وجغرافي ومؤرخ[2] ورحالة وتاجر عربي مسلم من القرن العاشر للميلاد. من أشهر أعماله " صورة الأرض " 977 عام.

كتابه صورة الأرض: عنوانه الأول المسالك والممالك، حيث اطلع ابن حوقل على كتاب المسالك والممالك للأصطخري فكتبه من جديد محتفظا بعنوانه، وهذا الكتاب سمي " المفاوز والمهالك "، وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان وطبائع أهلها، وخواص البلاد في نفسها وذكر إيجابياتها وخراجها ومستغلاتها، وذكر الأنهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار، من المدن والأمصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما يضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار.[3]

طبع الكتاب بداية بعنوان المسالك والممالك، والمفاوز والمهالك، ثم تحسنت هذه الطبعة ونشرت بعنوان " صورة الأرض "[4]

وبدأ رحلته سنة 331 هـ، من بغداد[5] ودخل المغرب وصقيلية وجاب بلاد الأندلس وقد وصف رجال أهل البلدان والأعيان وملوكها من ذوي السلطان إلى ذكر النادرة من محاسنهم والفضيلة

---

[1] محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، **صورة الأرض**، دار صادر، افست ليدن، بيروت، 1938.

[2] أبو القاسم حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص 5.

[3] أبو القاسم ابن حوقل، المرجع السابق، ص 5- 6.

[4] المرجع نفسه، ص 6.

[5] المصدر نفسه، ص 10.

من مكارمهم[1]. لقد فصل ذكر البلاد الإسلامية اقليماً بدأها بذكر ديار العرب جعلها اقليماً واحداً، ووصف كل ما تشتمل عليه من جبال ورمال وما يجاورها من أنهار من مكة أم القرى واسطة الأقاليم والأنهار التي تجري ببحر فارس، ثم ذكر المغرب ورسمه في وجهين ووصف مدنه، مواقعه والمياه الجارية فيه ثم صور الشام ووصف جبالها، مياهها وأنهارها، ووصف الجزائر والجزيرة المعروفة بديار بكر وربيعة ومضر، ثم تكلم عن العراق وفارس وكرمان، وبلاد الهند ثم أذربيجان، وخرسان والديلم وطبرستان، وصور نهر جيحون وما وراء من أعمال بخاري وسمرقند[2].

2. **القزويني**: هو محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دلف العجلي أبو المعالي، قاضي القضاة، جلال الدين الشافعي العلامة.[3]

ولد سنة (666هـ،1208م)، في القزوين، مارس الخطابة بجامع دمشق، انتقل إلى القاهرة، وهناك ولّي القضاء، كان القزويني مليح الصورة، فصيح العبارة، كبير الذقن، موطأ الأكتاف، جميل المحاضرة، جواداً منفقاً على الفقراء والمساكين، توفي عام 1238م.

كتابه أثار البلاد وأخبار العباد: يعد كتاب " آثار البلاد وأخبار العباد " أحد مؤلفات القزويني، وقد ذكر القزويني أنه ألّفه من خلال جمع ما رآه، وعرفه وشاهده عن لطائف وعجائب حكم الله المودعة في عباده وبلاده، وقد بين أن الأرض كوكب سماوي، وأنه يختلف من رقعة لأخرى تبعاً لاختلاف تأثير الشمس، وسقوط المطر، وهبوب الرياح من منطقة إلى أخرى، الأمر الذي أدى إلى ظهور عجائب في بلاد الله، وذكر هذا الكتاب عجائب صنع الله، وأحوال الأمم الماضية، وما تميزت به من مكارم الأخلاق والآداب، فهذا الكتاب خير جليس للقارئ، إذ يعرض للقارئ صورة البلاد، وكأنّ القارئ يشاهدها أمامه، كما يعرض أخبار الكرام، وكأن القارئ يجالسهم.[4]

3. **ياقوت الحموي**: هو ياقوت بن عبد الله وقد سماه بعضهم الملك، دون ذكر المصدر، الرومي الحموي، البغدادي يكنى بأبي عبد الله ويلقب بشهاب الدين، ولد سنة(57هـ- 626هـ)

---

[1] أبو القاسم أبو الحوقل، المصدر السابق، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 15- 16.

[3] بغية الوعاة السيوطي، **محمد أبو الفضل إبراهيم**، مطبعة عيسى البابي الحلب، ط 1، 1964، ج 1، ص 154.

[4] زكريا القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ص 5 – 6.

1178م، أو سنة (575هـ/ 1179م) ، حيث أسر صغيراً، وحَمل إلى بغداد، ثم بيع في أحد أسواق النخاسة ببغداد، من أشهر ما ألف في معاجم البلدان.

كتابه معجم البلدان: هو موسوعة شهيرة للأديب والشاعر الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ولقد كتبها بين الأعوام 1220 و1224م. ويعد معجم البلدان مصدراً تاريخياً هاماً لوصف تلك الحقبة، وتمت طباعته عدة مرات وترجم إلى مختلف اللغات. كما أن الكتاب يحتوي على وصف لبلدات ومدن ودول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب عربي بليغ. ويذكر في كتابه المواضيع التالية: ذكر صورة الأرض وما قاله المتقدمون والمتأخرون من العلماء فيه، بأخبار البلدان والتي يختص ذكرها بموضع دون آخر، تعريف لوحدات القياس المتداولة في زمانه كالفرسخ والبريد والميل، تعريف بمعنى الإقليم وطبيعته، ذكر البوادي والقفار ومنازل العرب اعتمادا على الشعر العربي والنثر المغنى والأمثال من هؤلاء العلماء الأصمعي، وهشام الكلبي، وأبو سعد السيرافي.

4. **المسعودي:** هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، الملقب بقطب الدين، هو مؤرخ وجغرافي وعالم عربي مسلم، عرف باسم هيرودوت العرب[1]، ولد في عام 283 في مدينة بغداد، وتوفي في عام 346 في مدينة القاهرة، تلقى تعليمه من نفطويه (عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي).

كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر: كتاب تاريخي من فئة اللاخيال، يضم العديد من الروايات والقصص التاريخية، يعد هذا الكتاب ذا قيمة تاريخية في التاريخ المسعودي، يبدأ بالخليقة وينتهي بعهد الخليفة العباسي المطيع لله، ويقيم الكتاب بناء على الجهد المبذول فيه لنقل الأخبار والعلوم وتسجيا التاريخ، وإن كان بعض ما احتواه مشكوك في صحته وبعض الحكايات من الخيال، وهذا ما توصل إليه المسعودي في أسفاره وبذل فيه أمواله ليجمعه لطالب العلم والباحث، فكتابه حظي بسمعة طيبة لدى علماء الغرب خاصة، فسعوا إلى اقتنائه[2].

[1] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 211.

[2] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 216.

5. **ابن بطوطة:** هو عبد الله، بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي[1]، المعروف بابن بطوطة، ولد 17 من رجب سنة 703هـ/ 1304م، يلقب بشمس الدين، ينتسب إلى قبيلة " لواته "، ينحدر من أسرة عالية كان لها إسهامات فكرية وعلمية اشتغل أفرادها بالقضاء والتدريس.

يعتبر ابن بطوطة من أشهر الرحالة العرب المسلمين وأطولهم نفسا في الترحال واختراق الآفاق ولد في درب صغير يحمل الآن اسمه في طنجة تلك المدينة الجميلة، وهي جوهرة من جواهر بلاد الإسلام جمالا واشراقا.

كتابه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: كتاب غني بأخبار الشعوب وشكل حياتهم ووصف طعامهم وشرابهم ومأكلهم وملبسهم وعاداتهم وتقاليدهم، يضم تفاصيل رحلته من أقصى الشمال الغربي " طنجة "، حيث سار راكبا الجمال دون شك [2]،ابن بطوطة هو الذي قام بكتابته تبعاً لطلب سلطان المغرب، قام أيضا بزيارة الكثير من الأماكن وقام باستكشافه والتعرف على ناسها، حيث بدأ ابن بطوطة زيارته في سن العشرين وذلك عندما كان يرغب الحج في مكة المكرمة من أجل أداء فريضة الإسلام الخامسة.

6. **ابن جبير:** أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنافي، المعروف باسم ابن جبير الأندلسي ولد في بلنسية سنة 540هـ، 1145م، أديب وشاعر وفقيه وأشهر رحالة القرن السادس الهجري[3]، بعد الإدريسي، وكان من أسرة عريقة سكنت الأندلس عام 123هـ، أت حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم الدين وشغف بها وبرزت ميوله أيضا في علم الحساب والعلوم اللغوية والأدبية، واظهر مواهب شعرية ونثرية رشحته للعمل كاتبا، تعلم على يد أبيه وغيره من العلماء في عصره، استخدمه حاكم غرناطة في وظيفة كاتم السر فاستوطن غرناطة.

صمم ابن جبير على القيام برحلة الحج بتلك الدنانير تكفيراً عن خطيئته وأقام في سفره سنتين ودون مشاهداته وملاحظاته في يوميات عرفت برحلة ابن جبير، وسميت باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"

كتابه تذكرة الأخبار واتفاقات الأسفار: أول رحلة حج أندلسية، تمتاز بمكانتها في المكتبة العربية، من النادر أن نجد ما يماثلها أو يدانيها قيمة تاريخية وجغرافية ودينية، سواء بما اشتملت عليه من إيمان روحي

[1] المرجع نفسه، ص 488.

[2] المرجع نفسه، ص 489.

[3] المرجع نفسه، ص 384.

عميق ودقة علمية بالغة ورصد تأملي واسع، إنها يوميات عالم ثاقب البصيرة، واسع الأفق، شديد الملاحظة، تتجلى أهميتها في التفاصيل الدقيقة التي يتأمل ابن الجبير ملامحها باهتمام ويتحدث عنها باستفاضة من مدن وأرياف وموانئ ومناسك وآثار مقدسة ومعالم عمرانية.

7. **رفاعة الطهطاوي**: رفاعة الطهطاوي (1216 هـ- 1290هـ / 1801م- 1873م)، هو رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع الطهطاوي، والطهطاوي نسبة لمسقط رأسه طهطا، ويرفع المؤرخون نسبه من ناحية أبيه إلى الحسن بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ناحية أمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي إلى الأنصار الخزرجية. تلقى علومه الأولى في " طهطا "، كانت أسرته ميسورة الحال لكنها على قدر متواضع من العلم، عكف رفاعة دراسة اللغة الفرنسية رغبة منه تحصيل العلوم، وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوماً أخرى، وكان ميالا إلى التأليف والترجمة[1].

كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز: هو كتاب ألفه رفاعة الطهطاوي، ويعدّ عرضاً لرحلته المشهورة في باريس، وأطلق على هذه الرحلة اسم " تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، أو "الديوان النفيس في إيواء باريس"، ويعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب العربية في فترة النصف الأول من القرن التاسع عشر. مثل كتابه المرحلة الأولى من مراحل التماس الحضاري والتحول في العالم العربي من التخلف والجهل والأمية إلى الإبصار، ومحاولة الأخذ بأسباب الحضارة، إن المرحلة التي كتب فيها الطهطاوي رحلته ما يزال العالم العربي يحتفظ فيها بكل مكوناتها، وبكل ما نتج عنها من مظاهر، فقد كانت المرحلة مرحلة التأسيس التي لم نستطع تجاوزها (برغم ما مر به العالم العربي من تغيرات، وما أصابه من تطور).

[1] جورجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج2، الفصل 3، ص 31.

المبحث الثاني: تجليات الرحلة في أدب النهضة العربية.

أ/ إرهاصات النهضة في البلاد العربية:

عندما وصلت الحضارة العربية إلى ذروة القوة والعطاء كان المنطق يقول إنها ستتجه إلى الانحدار لأن ما يلي القدم دائما هو المنحدرات. وعندما بدا التراجع والتقهقر دخلت الأمة العربية الاسلامية في حالة ركود فكري وعلمي امتد سحابة خمسة قرون تزيد ولا تنقص، لم يتقطع فيها الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي انقطاعا تاما كما يوحي التعبير أو الأوصاف التي نصف تلك المرحلة التاريخية من عمر الأمة العربية، ولكن الإنتاج كله تقريباً افتقر إلى الإصابة والجدة والتجديد، فوقع في العجز عن القدرة على مواكبة التطورات الكبرى والوثبات الخلاّقة التي كانت تمر بها الحضارة الأوروبية طيبة تلك القرون.

على الأقل حتى عصرنا هذا ، كان هذا هو السياق الطبيعي لسيرورة التاريخ ، أمة في طريقها إلى الهاوية وأخرى في طريقها القمة ،الصاعدة إلى القمة انتهت من استرخائها واستراحتها ونهضت الأمة منقلبة على واقعها المتردي والنازلة في الهاوية أدت رسالتها وأفرغت جعبتها ولم يعد عندها على الأقل في ظرفها، ما يمكن أن تضفيه إلى مسيرتها[1]، وعطاءاتها فكان لابد لها أن تسترخي بعد شوط الحيوية والعطاء وممارسة الدور الذي كان يمكن أن تقوم به في رفد سيرورة التقدم البشري ،أي في تأدية رسالتها التاريخية التي حملتها لمرحلة من عمر البشرية .

لم يبدأ التراجع والتقهقر مع الدولة العثمانية ولكن مع بداية الدولة العثمانية تقريبا تراجعت العلوم والفنون والآداب تراجعاً كبيرا في زمن قياسي حتى وصلت إلى مرحلة التلاشي وربما التلاشي المحض العلوم خاصة، والضحالة المغرقة في الفنون والآداب عامة ،وبقي الفقهاء وحدهم في الساحة ولكن من دون سند حضاري، فكري وعلمي وقيمي... ولأنه لا انفصال بين الدين و الحياة بمختلف حواملها وميادينها كانت حركة الفقه الإسلامي والاجتهاد الدينية في تلك المرحلة حركة مراوحة في المكان ،بل حركة في المكان ،كثيرة الغبار سلبية الآثار ،فلا نعطي جديدة تتطلب الاجتهاد أو الحركة الاجتهادية الجلدة ،ولا تطورات فكرية أو علمية جادة توجب النقاش والجدل الذي يفرض على الفقهاء التفكير والتجديد ... هيمن الركود على العقل فانقطع التجديد في مختلف المجالات والميادين[2] . في ظل

---

[1] عزت السيد أحمد، **المدخل إلى عصر النهضة العربية**، جامعة تشرين، اللاذقية الجمهورية العربية السورية، ط 1، 2006، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

أجواء التخلف هذه التي انقطع فيها وجود الفيلسوف والفقيه والعلام و الطبيب والأديب وجد لابسو أثواب الفقه والفقهاء ،وكان هؤلاء المتفقهون بإرادتهم أو على الرغم منهم ،لسبب أو لآخر ،هم المطالبون بان يقوموا بكل الوظائف والأدوار التي يحتاج إليها الحراك الاجتماعي بكل حوامله ،فصار الشيخ هو المتعلم والمعلم والعالم والفقيه و الطبيب والأديب ...ووجد نفسه حاملا لكل هذه الوظائف والأدوار على الرغم من عدم معرفته في هذه الأمور أو عجزه عن المعرفة فيها أو في بعضها على الأقل ولأن طبيعة الموقع والموقف والراهنة التاريخية تقتضي القرار والمبادرة مع الحرج من الوقوع في الحرج ،والجرح من الوقوف موقف الجاهل كان لابد من القرار في كل ما تقتضيه الحاجة بصيغة الحزم والجزم بما يوحى بالثقة والعلم ، ولذلك تقدمت القرارات الغامضة والتصرفات أو السلوكات التي لا تكشف عن الجهل، فتقدم الطّب الشعبي وتقدمت الخرافات في التفسير والتصوير والتعبير، وانتشرت التكايا والزوايا التي هي جزء من الأصوات والسلوكات الخرافية التي وجدت مكانها في ظلال تلك المرحلة[1].

هذا الوضع التاريخي للمجتمع العربي والإسلامي هو الذي أنتج مصلحا أو مجددا مثل محمد بن عبد الوهاب الذي أعلن رفضه الواقع بكل ما وصل إليه من ممارسات فكان أول بذور إرهاصات النهضة العربية، وتلاه محمد بن علي الشوكاني الذي أراد أن يهدم الفواصل بين المذاهب الإسلامية، وجاء بعدهما صاحب الحركة السنوسية محمد بن علي السنوسي. ولذلك من الخطأ تماما إقرار القول الذي يكاد يجمع عليه مؤرخو النهضة العربية بأن الإصلاح الديني الإسلامي جاء انعكاسا أو تقليدا للإصلاح الديني الأوروبي، لأنه لا يصح على جيل الإرهاصات على الإطلاق لأنهم لم يعرفوا شيئاً عن الفكر الأوروبي.

مع هذا الجيل الذي لا نعترض على تسميته جيل الإرهاصات بدأت النهضة العربية وليس مع الجيل الذي تأثر بأروبا وأراد أن ينقل التجربة الأوروبية إلى المجتمع العربي والإسلامي المسمى جيل الطهطاوي والتونسي والشدياق، أو ما يسمى جيل الرواد، فالجيل الأول، جيل الارهاصات بدا مشروعه النهضوي قبل الاتصال العربي بأوروبا ينحو مئة سنة.[2]

ولد محمد بن عبد الوهاب ولد بالعيينه في اليمامة غرب الرياض عام 1703 وتوفي عام 1792. وتركزت دعوته التي سميت بالدعوة الوهابية يضع مبادئ تزيد أو تنقص تبعاً للباحث الناظر، تدور كلها

[1] عزت السيد أحمد، المصدر السابق، ص 25.

[2] المصدر نفسه.

حول محور واحد هو العودة بالإسلام إلى أصوله ومنابعه الأصلية، وقد اشترك معه في هذه المبادئ اشتراكا كبيرا شريكاه في هذه المرحلة وتلميذاه إلى حد ما كل من محمد بن علي الشوكاني الذي ولد في هجرة شوكان في اليمن عام 1760 وتوفي 1834. ومحمد بن علي السنوسي الذي ولد بمستغانم في الجزائر عام 1787 وتوفي 1859.[1]

أما المبادئ التي تتركز فيها دعوات هؤلاء الثلاث، مع بعض التبانيات في الخصوصية وبعض الإفتراقات في التمايز فهي:

1-الدعوة إلى التوحيد الخالص متمثلا في الشهادة أن لا إله إلا الله وإنكار الشرك بكل أنواعه واحواله.

2- محاربة ضروب التبرُّك بالأولياء والتمسح بالمشايخ والتقرب إلى الله بزيارة قبور الصالحين وغير ذلك مما يشبهه، وهنا افترق السنوسي قليلا عن سابقيه بتحبيذه الصوفية وبعض طرقها.

3- اعتماد القرآن والسنة النبوية الشريفة مصدراً أساسيا للتشريع.

4-إنكار البدع بمختلف صورها وأحوالها وأشكالها وما نجم عنها من خرافات وسخافات مثل البناء على القبور واتخاذها مساجد ومعابد، وكذلك المواد والطرق التي أحدثتها طوائف من المتصوفة. وهنا يخرج السنوسي أيضا من الاشتراك فقط في أمر الصوفية ولكنه وافق على محاربة البدع بأحوالها.

5-اشترك الثلاثة بالدعوة إلى العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وافترقوا في السبيل فمحمد بن عبد الوهاب دعا إلى وجوب أمر الناس بالمعروف وإلزامهم به بالقوة بينما الشوكاني والسنوسي طلبا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

6-الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد[2].

7-يرتبط بذلك كله ويشتق منه أيضا المطالبة بالعودة بالإسلام إلى نقائه الأول بتخليصه من البدع والخرافات والممارسات الخاطئة التي تمارس باسمه.[3]

8- واشتركوا أيضا في محاربة التقليدي الأعمى .

[1] عزت السيد أحمد، المصدر السابق، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 26.

[3] المصدر نفسه، ص 26.

هذه المبادئ التي اشترك فيها من يسمى جيل إرهاصات النهضة وهي ذاتها مبادئ كثير من المفكرين اللاحقين عليهم خضم عصر النهضة العربية ،والجهود التي بذلها هؤلاء في مواجهة ما وصل إليه المجتمع العربي والإسلامي مَن تخلف وتقهقر وجهل وسلوكات خرافية تجعلنا لا نستطيع إلا أن نرد بداية النهضة العربية إليهما، فعلى أيديهم تّم تغير نوعي صريح أدى إلى نقلة واضحة في معالم الحراك الاجتماعي السياسي في العالم العربي خاصة والإسلامي عامة ،وأدى الأمر إلَى كثير من الحالات إلى تدخل القوى العظمى حينها مباشرة لتحديد أو محاصرة التطورات السياسية و الاجتماعية التي أدت إليها خاصة العالية والسنوسية .

إذن البداية الحقيقية لعصر النهضة العربية ترجع في حدود الدنيا إلى مطالع القرن الثامن عشر وهذا ما ينكره كثير من مؤرخي النهضة العربية وان اختلفوا في التسمية، ولكن ما يكاد يكون شبه إجماع هو أن عصر النهضة العربية إما أنه قد بدأ مع عودة الطهطاوي وزملائه من فرنسا أو أنه بدأ مع دخول نابليون إلى مصر. في شقيه الاختلافين إجماع محض خاطئ لأنه يجعل بداية عصر أو مرحلة تاريخية مثل بداية أي مبادرة تقررها صافرة الحكم فبأي حق وبأي حجة يكون الطهطاوي خط انطلاق النهضة العربية أو نابليون أو غيره؟ وماذا يمكن أن نقول عن الجهود المرافقة أو السابقة لهما وهي لا تقل قيمة أو شأناً؟ وهل يمكن أن تكون النهضة سباق هيا له خط بداية وخط نهاية؟ [1]

هناك أحداث تاريخية تكون عاملا أو حدا فاصلا بين مرحلتين، سقوط روما القادسية اليرموك، سقوط القسطنطينية، إلقاء القنابل النووية على اليابان... نعم هي أحداث فاصلة، ولكن نهضة الأمة أمر آخر مختلف تماما لا تؤرخ بشخص ولا تبدأ بشخص، إلا في حالات استثنائية، واستثنائية نادرة جدا. ومن هذا الباب أطلقنا على الجيل الأول جيل الإرهاصات، مرحلة الإرهاصات، ولم نقرأ أن واحدة من أعلامها هو بداية النهضة، وكان من أبرز أعلامها محمد بن عبد الوهاب والشوكاني والسنوسي وهناك بالتأكيد غيرهم.

ب/ التيارات الفكرية الوافدة وتأثيرها على الفكر العربي:

1. التيار الإصلاحي الديني :

لقد نشأت حركة الإصلاح الديني كرد فعل على الحركات السلفية التي كانت سببا في حدوث الانحلال الاجتماعي وانتشار البدع والضلالات في الدين الاسلامي والابتعاد عن أصول العقيدة الاسلامية

[1] المصدر نفسه، ص 27.

والتخلف بكل أشكاله خاصة التخلف الثقافي والفكري بشكل عام الذي تسبب به الحكم العثماني بالدرجة الأولى بعزل الوطن العربي عن العالم الاوروبي والاحتلال الغربي الأوروبي والغزو الثقافي الذي رافقه، وعجز الدولة الإسلامية وعلى رأسها الدولة العثمانية عن مواجهة التحدي الخارجي الذي كان هدفه الأسمى هو إضعاف الوازع الديني وإشاعة جو الجهل والتخلف والأمية والعمل على استمرار هذا الوضع لإطالة أمده وبسط سيطرته وتحقيق هيمنته دون أي محاولة وحتى ولو التفكير في مقاومته علاوة على الفرق الشاسع بين التقدم العلمي والتفوق الاقتصادي في العالم المتقدم وما كان عليه المسلمون من تأخر وتدهور وانحطاط مس البنية القوية والتحتية.

كما أثر ذلك في نفوس وعقول المتنورين من العلماء فكان السبيل إلى التقدم والنهضة والتقدم ومواجهة الهجمات الخارجية من وجهة نظر التيار الديني الإصلاحي هو تقوية الجانب الديني وتنقية الإسلام مما علق به من الشوائب الدخيلة عنه أساسا كالبدع و الخرافات بل والعودة الى ينابيع الإسلام الأولى لاستلهام منه حل المشكلات الملحة التي تواجههم ومن بين رواد الحركة الاصلاحية نجد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي هؤلاء جميعا مثل صوت الحركة الإصلاحية الدينية ورسموا معالمها في المسار النهضة والفكر العربي داعين إلى خطوط رئيسية موحدة الهدف وهو إصلاح حال البلاد العربية والنهوض بالأمة وغيرهم انهم لم يتبنوا مشروعا واحدا مشترك بينهم بقدر ما دعوا غالى خطوط رئيسية ، انطلقوا في صياغتها من القاعدة الدينية الاسلام.[1]

2. التيار الليبرالي:

اتخذت الليبرالية ومنذ ظهورها مرتكزات وأسس فكرية تمثلت في الحرية والفردية والعقلانية وقد كان لهذه الاسس النظرية، الدور الفعال في نشر الليبرالية كمنتظم فكري يستهدف النهوض بالفرد وحقوقه ويساهم في تعزيز مكانته في المجتمع إذا اعتقدت الليبرالية أن الإنسان قاض بمصلحته وينبغي عدم تقييد حريته وعلى الدولة أن تضمن للأفراد ما لا يستطيع الفرد ضمانه لنفسه منفردا وهو الأمن والحماية ولا تتدخل في الحد من الحرية الفردية لأن في تدخلها يعتبر هدر لإمكانات الفرد.[2]

[1] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة**، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، 1979، ص 24.

[2] طلال أحمد خليل، **المرتكزات الفكرية الليبرالية**، جامعة دبالي، الجزائر، 2016، ص 154.

وجاء في المعجم الفلسفي أن الليبرالية مذهب يقوم على احترام حرية الأفراد استقلاله ومنحه أكبر قدر ممكن من الضمانات يعني أن الليبرالية تقوم بالدرجة الأولى على احترام الحرية الفردية مستقلة عن أي مؤثر خارجي واعطاء حيز كبير من الضمانات لاحترام هذه الحرية ضد أي إجراء أو تعسف.[1]

الليبرالية بشكل عام هي مذهب فكري يرتكز على الحرية الفردية ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد ويعتقد ان الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات الأفراد مثل حرية التعبير وحرية التفكير والملكية الخاصة والحريات الشخصية وغيرها لهذا فإنه يضع القيود على السلطة وتقليل من دورها الواسع توسيع الحريات المدنية.[2]

كما حمل رفاعة رافع الطهطاوي بعد عودته من فرنسا يهدف به إلى تحقيق النهضة العربية والتقدم الحضاري كأوروبا، ويشمل هذا المشروع مجمل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية رأى أنه من الضروري أن تتكيف الشريعة الإسلامية وفقا للمعطيات الجديدة التي نقلها من الثقافة الأوروبية واعتبر ذلك التكيف أمرا جائزا بل مشروعا لا غبار عليه حسبه.[3]

حيث نجد رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه "تلخيص الابريز" فكرية الحرية بشكل محوري في هذا المؤلف إضافة إلى تطرقه له في كتابه الآخر "مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" وأيضا طرحها في كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" هو يعطيها بعدا سياسيا ويراها تمثل عصب الحياة السياسية المثلى وتأسست المماليك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية وصيانة النفس والمال على موجب احكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين أي أن نقيم دولة تستهدف النهضة والتجديد لابد لها من الاهتمام بفكرة الحرية بكل أبعادها وأن تبنى أحكامها وأصولها على منصة القوانين.[4]

3. التيار العلماني:

تعريف العلمانية: وقد استخدم مصطلح العلمانية لأول مرهة مع نهاية الثلاثين عاما (1648) وبداية ظهور الدولة القومية (أي الدولة العلمانية) الحديثة، وهو التاريخ الذي يعتمده المؤرخين بداية لدول العلمانية في الغرب، إذ تمت الإشارة إلى علمنة ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها الى سلطات غير دينية أي

---

[1] طلال أحمد خليل، المرجع السابق، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 156.

[3] ألبرت الحوارني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، تر: كريم عز قول، دار النهار للنشر، بيروت، ط 4، د. ت، ص 150.

[4] عزت القرني، **العدالة والحرية في عصر النهضة**، دار عالم المعرفة، بيروت، د. ط، 1980، ص 56.

سلطة الدولة أو الدول التي لا تخضع إلى سلطة الكنيسة في العلمانية تعني المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة وهنا ما يحيل إلى فصل الدين عن الدولة. كما يذهب محمد أحمد خلف الله بأنها حركة فصل السلطة السياسية والتنفيذية عن السلطة الدينية.

وكان رواد هذا الاتجاه أن يرون بمنظار إن تحقيق النهضة لا يكون إلا بالعلم كما كان المبدأ العلمي عند أقطاب الاتجاه العلماني الذي يمثل الدور الحاسم لأنه حسب وجهة نظرهم ليس طريقة لاكتشاف نظام ترابط الأشياء فحسب بل يجاوز اعتقادهم وتطرفهم في تبجيل العلم الى رفعه إلى مستوى العبادة.

وبناء على هذا أي التمسك بسلطان العقل حسب اعتقاد رواد العلمانية، يخلص الأفراد من قيود الأنظمة السياسية والدينية المستبدة التي تخضع الإفراد وسيطرتها وتؤدي إلى الطبقية وبالتالي تقييد العقل وتقيد حرية الفكر مما يؤدي إلى إعاقة حركة العلم.[1]

ج/ أدب الرحلة وتمظهراته في الأدب العربي:

من أبرز المصطلحات التي تنسب الأدب إلى موضوعه وهو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحله مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.

وهو من المصطلحات التي يصعب حصرها لدمجها بين موضوعين متشعبين الأدب والرحلة.

[1] ألبرت الحواري، المرجع السابق، ص 295.

الإرهاصات الأولى لهذا العلم بدأت في الانطباعات والملاحظات التي سجلها الرحالة لتوثيق مغامراتهم واستعمالها كنوع من الخرائط أو دليل ساحليا وارشادات للإبحار، إلا أن هذا الانتقال الشفهي لهذه المواقف من لسان لأخر كان العامل الاساسي وراء ضياع الكثير منها.

ولم تكن الرحلة لتحظى بالمكانة الراهنة لولا تدوينها فطريق الكتابة هو الذي ينير مجاهل الطريق المختلف في مستوياته وأبعاده، وبمرور الزمن تطور أدب الرحلات وتخلص من ذلك الحشد الغير مبرر للمعلومات المتناثرة وتحول الوصف السردي إلى معرفة متسقة.

لقد كان العرب رواد في هذا المجال حيث ارتقوا بهذا الأدب إلى مستوى الخيال الفني، وأبرز ما يميز هذا الأدب الرحلي الكتابة القصصية المعتمدة على الأسلوب المشوق، مما حدا بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلات عند العرب خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة، بل إن التفكير العلمي الذي صاحب أدب الرحلات قد صرف كتابه في أغلب الأحيان عن الزخارف اللفظية المصطنعة والمحسنات البديعية المفتعلة ، ايثارا للعبارات السلسلة التي تصل إلى قلب المعنى بجسم ودون معاناة ، والمتتبع لخط سير أدب الرحلة عند العرب لابد له من التوقف عن العصر الجاهلي ، في فحياتهم اعتمدت بشكل كبير على الارتحال الانتقال لأسباب عديدة سواء في داخل البلاد أو خارجها ودونت هذه الرحلات من خلال القصائد العربية.

ويحدد الدكتور "حسني محمود حسين" في كتابه "أدب الرحلة عند العرب" 1972 البداية الفعلية لهذا الأدب بعصر الفتح العربي الذي كان بمثابة رحلات في ذاتها قدمت للعرب تجارب ومعارف جديدة، وخلقت ظروفا مستحدثة اقتضت الرحلة والبحث.

فكانت هناك عملية تأثير وتأثر بين الرحالة والبلاد التي زاروها ومن مميزات الرحالة العرب انتمائهم إلى مجال الكتابة، مما جعل كتابتهم الرحلية ترتقي إلى مستوى الأدب بفضل أسلوبهم القصصي الذي يعتمد أحيانا على الواقع وأحيانا أخرى على الخيال، واستمر أدب الرحلة في التطور والتقدم وتحول من مجرد وصف تقليدي للرحلات إلى مذكرات يومية ويعد "أبو بكر محمد ابن العربي" أول من وضع هذا التقليد في كتابه "الرحلة" أو "ترتيب الرحلة".

ليأتي فيما بعد "ابن جبير" ويؤصل أدب الرحلات بفضل الصياغة الأدبية العالية، ليظهر بعد قرنين رحالة عرف لدى الجميع "ابن بطوطة" لتقديمه نمطا جديدا وغريبا في رحلاتهم المليئة بالخرافات والغرائب.

أما في القرن الثالث عشر بدأ يطغى الجانب العلمي على أدب الرحلات كما في رحلتي "العبدري والشريسي".

ظل العرب في المرتبة الأولى في ميدان أدب الرحلات إلى أن قامت الاستكشافات الأوروبية فأصابها الركود والجمود كحال الأمة العربية إلى أن جاء عصر النهضة الحديثة، وبدا أبناء البلاد العربية في الانتقال والارتحال من جديد طلبا للعلم أو العمل أو السياحة وغيرها فعاد أدب الرحلة إلى البروز من جديد أما في القرن الحالي اتخذ أدب الرحلة مكانته الأثيرة في الأدب العربي المعاصر ليواكب نظيره في العالم الآخر، وقد قال الكاتب الفرنسي "سافاري" أن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ويعود الفضل في ذلك لعودة الرحلات الطلابية وغيرها إلا أنها لا تحظى بنفس المكان و الثراء الذي عرفته الرحلات العربية القديمة.

المبحث الثالث: الادب العربي بين التأثير والتأثر

نشأة الأدب المقارن في الأدب العربي

وفي النصف الثاني من القرن 19 برزت في وطننا العربي محاولات البدايات الأولى للأدب المقارن وقد ارتبطت هذه المحاولات مع بداية النهضة العربية وارتبطت بمرحلة الإيقاظ في جميع مجالات الحياة ومنها الأدب، وما يؤكد هذا أن رواد النهضة العربية هم أصحاب البدايات الأولى للأدب المقارن في الوطن العربي، وسنرى أن التفكير النهضوي لدى أدباءنا ونقادنا في تلك المرحلة والمراحل اللاحقة، يبارك أثرا واضحا في توجيه الدراسات المقارنة الاسلام في تحقيق نهضة أدبية من خلال الانفتاح على الآداب

الأخرى، والإفادة من جوانبها الإيجابية، ولذا كانت البدايات الأولى تركز على[1] دراسة التشابه والاختلاف، فاكتفاء الرواد في هذه المرحلة كما هو الحال في الاتجاه الفرنسي بدراسة التأثير والتأثر، من منطلق إثبات فضل أدب قومي على أدب قومي آخر لا يلبي متطلبات سياقهم الثقافي ،مما دفعهم إلى عدم الالتزام بما وضعه المقارن الفرنسي، فقد درس المقارنون العرب في تلك المرحلة التشابهات والاختلافات بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة، قبل ظهور الاتجاه الأمريكي وكيفوا دراسة التأثير والتأثر لتتلاءم مع التوجه النهضوي في الوطن العربي.

ومن هنا يظهر لنا تعسف المقارنين المعاصرين الذين لم يدخلوا دراسة التشبهات لدى الرواد ضمن الأدب المقارن، بحجة عدم التزامها بمبادئ الاتجاه الفرنسي، ويظهر لنا أيضا مبالغة الذين عادوا هذه المقالات سبقا للاتجاه الأمريكي للإعلاء من شأن، مما يدل على أن تقييم هذه الجهود تم في الغالب من خلال متطلبات الاتجاهات الواردة دون النظر إلى احتياجات المرحلة العربية وخلفياتها[2].

فمن المعروف أن رواد النهضة العربية بمختلف مجالاتها، كانوا يطمحون الى الخروج العزلة التي فرضتها عصور الانحطاط، وما نتج عنها من جمود في المجالات الثقافية المختلفة عن طريق الانفتاح على العالم والافادة مما توصلت اليه من تطور في المجالات المختلفة ومنها الادب والنقد ومن الطبعي ان يتجه ادباء وكتاب عصر النهضة في الوطن العربي ودعاة التجديد الى التعريف القراء بجوانب من نهضة الآداب الاخرى، من خلال اجراء مقارنات التشابه والتوازي، بهدف الاسهام في تطور الأدب العربي والحديث ونقده.

ومن ثم يمكننا ان ندرك ابعاد اهتمام رفاعة الطهطاوي في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريس 1285هـ، وكذلك علي مبارك في كتابه علم الدين بمقارنة جوانب من التشابه، والاختلاف بين بعض مظاهر الثقافة العربية بجوانب من الحضارة الغربية، وكذلك المقارنات والاشارات المتفرقة لرواد آخرين مثل: اديب اسحاق وأحمد فارس الدشياق ويعقوب صروف، التي يمكن ادخالها ضمن البدايات الأولى للأدب المقارن فهذه الجهود جميعا تنطلق من نزعة نهضوية وتنويرية[3].

---

[1] د. محمد فاروق عبد العليم، **محاضرات في الأدب المقارن**، مدرس الأدب والنقد بالكلية، كلية الدراسات الإسلامية العربية، بنات بني سويف، ط.1، 2009، ص 26.

[2] المحاضرة نفسها، ص 27.

[3] المحاضرة نفسها، ص 28.

فقد كتب يعقوب صروف مقال بعنوان (الانتقاد) عام 1887. تناول فيها واقع النقد العربي وما يعانيه من تخلف النقد الإفرنجي وما وصل اليه من تطور، دون الاهتمام بدراسة التأثير أو التأثير، مشيرا إلى عدد من النقاط المشهورين في الغرب، انطلاقا من حرصه على أن يتعرف القارئ العربي على أنماط جديدة في النقد.

وتظهر بعد ذلك مقالات تدل عناوينها على توجه أصحابها إلى المقارنة، ولكنها مع هذا اكتفت بدراسة التوازي أو التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والأدب الغربي، ومن أوائل هذه المقالات مقالة كتبها "نجيب الحداد"، ونشرت في المقتطف سنة 1897م بعنوان (مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي)، ويظهر التوجه النهضوي لهذه المقارنة من قول الكاتب عن دوافع كتابه هذه المقالة: " وقد سألني من لا يسعني مخالفته أن أستعين بما توصلت إليه من قراءة الشعرين العربي والإفرنجي على وضع مقالة في هذه المجلة الغراء أبين فيها المقابلة بينهما وأتكلم عن الفروق بيننا وبين أهل الغرب في معاني الشعر وأنواع إيراده وأذواق ناظميه وطرائق البيان في مآخذه وإبراز المقاصد منه إلى ما يتصل بذلك من قواعد نظمه اللفظية والمعنوية عند الفريقين". ويتضح من خلال معالجته للموضوع أنه لا يريد من خلال هذه المقارنة أن يكشف عن أثر الأدب العربي في الأدب الغربي، أو العكس، وإنما هدفه أن يتعرف القارئ على الجوانب الايجابية في نهضة الآداب الإفرنجية للإفادة منها في تجاوز مرحلة الجمود التي يعاني منها أدبنا[1].

ومن هذه المقارنات المعركة التي دارت حول (بلاغة العرب والإفرنج) في المقتطف بين أحمد كامل، وخليل ثابت والدكتور نيكولا فياض سنة 1900م، وتعكس هذه المقالات الثلاث الصراع الذي كان قائما بين دعاة الانفتاح على الآداب الغربية، ودعاة التعصب للأدب العربي فقط قارن أحمد كامل بين الأساليب البلاغية العربية والأساليب البلاغية الإفرنجية، بغرض إثبات تفوق البلاغة العربية على غيرها وذلك من خلال مقارنة بين قصيدة مترجمة لفكتور هوجو victor Hugo ورسالة للسيد البكري، والاستشهاد ببعض أبيات من الشعر العربي وقد حدد منذ البداية أن الكلام البليغ يتركب من ثلاثة أجزاء اللفظ والمعنى والموضوع، فراح يتابع تفوق البلاغة العربية على البلاغة الإفرنجية في هذه الزوايا، ولا يهتم في ذلك كله بإثبات تأثر شاعر بأخر، وإنما يهتم ببيان جوانب الاختلاف بين البلاغة العربية

[1] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 30.

والبلاغة الإفرنجية، لإثبات تفوق الأسلوب العربي على الأسلوب الإفرنجي، وكأنه يريد من خلال هذه المقارنة أن يلمح إلى اكتفاء الأدب العربي وتفوقه وعدم حاجته إلى الإفادة من الآداب الأخرى[1].

وقد حاول كل من خليل ثابت، ونيكولا فياض، من خلال ردهما على آراء أحمد كامل وهما من دعاة التجديد والانفتاح على الآداب الغربية أن يكشفا عن خطأ النظرة المبتسرة إلى الآداب الأجنبية، وأضرار التعصب الذي قد يعمينا عن إدراك واقعنا على حقيقته حيث يقول خليل ثابت في بداية مقالته: "وقد آنست من حضرة الكاتب تحاملا على الإفرنج رددته إلى غيرة حضرته على آداب اللغة العربية غيرة تحمد منه وإلى قلة علم باللغات الإفرنجية وآدابها"[2].

فالأدب العربي قد وصل إلى عصر النهضة إلى مرحلة الاكتفاء، ولذا يرد خطأ ما أصدره أحمد كامل إلى جهله بخصائص اللغة الفرنسية، يقول: "ولا أخال العارف باللغتين الفرنسية والعربية يفضل رسالة السيد من حيث رصف ألفاظها وتنميقها على قصيدة "فيكتور هوجو" في الأصل الفرنسي إذ لا تخلو رسالة السيد من ألفاظ ينفر منها السامع...".

ويتضح بعد المقارنة التنويري من خلال دعوة الكاتب إلى عدم التعصب، والإفادة من الجوانب الإيجابية في الأدبين والتوسع في ترجمة الأعمال الأدبية الغربية لنتعرف أكثر على إبداعاتهم، يقول: "وخير الأمور أن يجمع المرء بين ما لذّ وطاب من مقول الفريقين ولا ينقطع لواحد منهما ولعل هذا البحث يدفع بعض أدباءنا الى تعريب شيء من بليغ ما كتب الإفرنج كاسيا حلة عربية فيتضح لنا ما عند إخواننا الفرنجة من معجزات البلاغة والإنشاء"[3].

ولم يعتني أكثر المقارنين العرب بربط الجهود بسياقها فقد عدوا كتاب روحي الخالدي (تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعربي وفيكتور هوجو) الذي صدر عام 1904م، أول محاولة تطبيقية في الأدب المقارن في الوطن العربي، وذلك لأن المؤلف تناول فيه التأثير والتأثر إلى جانب التشابه والتوازي بين عدد من الآداب، متجاوزا الدراسات العربية السابقة التي اهتمت بالتشابه والاختلاف فحسب، بل إن عز الدين المناصرة جعل من عدم اكتفاء المؤلف بدراسة التأثير واتساعه نظرته لتشمل المقارنة بين أكثر من أدبين، تطوير للاتجاه الفرنسي، وسبقا للاتجاهات الحديثة حيث يقول عز الدين المناصرة: "إذن نستطيع القول إن كتاب روح الخالدي ومن خلال العنوان وحده يطبق المنهج الفرنسي بالأدب المقارن، الذي ساد منذ

[1] المحاضرة نفسها، ص 31.

[2] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 31.

[3] المحاضرة نفسها، ص 32.

سنة 1828م وحتى 1963م، بل إن روحي الخالدي يفوقه في بعض الطروحات مثل: علم (علم الأدب) و(عدة آدب)[1].

فنلاحظ أنه قد اختار المقارنة بين عدة آداب حين كان الفرنسيون يروجون للمقارنة بين أدبين فقط كما اختار علم الأدب الأكثر شمولية من الأدب المقارن ليطبقه على منهج المقارنة للعلم فهناك بلدان كثير الآن تحاول التوفيق بين بين المنهجين الفرنسي والأمريكي. وتستخدم مصطلح (علم الأدب) في الدراسات المقارنة" ونحن نتفق معه في أن روحي الخالدي لم يلتزم بمبادئ الاتجاه الفرنسي حرفيا، لكننا نرى أن يتم النظر إلى هذا الاختلاف من خلال اختلاف الدوافع المنطلقات بين أنصار الاتجاه الفرنسي والمقارن العربي في عصر النهضة، فمنطلق الفرنسي كما ذكرنا قومي تاريخي، يهدف إلى تتبع إسهام أدب قومي في تطور أدب قومي آخر، بينما هدف روح الخالدي نهضوي ويريد من خلال هذه المقارنات أن يتعرف العرب على مجالات جديدة في الأدب ودراسته وعلى بعض الأعلام الأدبية المشهورة في الغرب، متخذا فيكتور هوجو أنموذجا، فالمنطلقات النهضوية كانت حاضرة، لأنه لم يؤلف كتابه كما يبدو بدافع تطوير الأدب المقارن فقد أعطي في بداية الكتاب نبذة عن حياة فيكتور هوجو.

وفي عام 1904 صدرت ترجمة سليمان البستاني لإلياذة هوميروس بعنوان "إلياذة هوميروس معربة نظما وعليها شرح تاريخي أدبي وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والغرب ومذيلة بمعجم عام وفهارس"، وقد تناول المترجم في المقدمة أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والأدب اليوناني مشيرا الى قلة المنظومات القصصية في الشعر العربي القديم ويقارن بين أنواع الشعر عند العرب وكأنه من خلال هذه المقارنة يريد أن يعرف الأديب العربي على أنماط أدبية جديدة حتى عندما تناول تأثير الإلياذة في الآداب الأوروبية عن النظرة القاصرة لدى العرب إلى التأثر حينما عدوه نوع من السرقة بينما الغربيون. كما يقول لم يكن لديهم حرج في الإفادة من إلياذة هوميروس، مما يوحى بأن المؤلف يريد من خلال هذه المقارنة التنبيه الى أهمية أن يطلع الأديب العربي على الإبداعات الأدبية الأجنبية حتى ننهض بأدبنا الحديث[2].

وهذا يؤكد فكرة من ربط نشأة الأدب المقارن وتطوره في الوطن العربي بالتفكير النهضوي.

---

[1] المحاضرة نفسها، 33.

[2] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 35.

ومن الجدير بالذكر: في تلك مرحلة البدايات أن لا يجد المؤلف كتب نقدية عربية في المؤلفات العربية القديمة كانت في تلك المرحلة لا تزال مخطوطات محفوظة في المتاحف ولم يكن هنالك مؤلفات عربية حديثة في النقد الأدبي سوى مقالات ادبية متفرقة، ولهذا شعر المؤلف أنه يقدم شيئا جديدا للقارئ العربي، يقول: " وهنا لابد لي أن أقص على القارئ ما دهاني من الحيرة الاضطراب عند أخذي القلم لتأليف هذا الكتاب اذ كل ما كانت أطلعت عليه من كتب هذا الفن في اللغة الفرنسية لا ينطبق على ما عقدت على تأليفه النية إلا من وجه خفي... فإن جميع ما قرأته لجهابذة هذا الفن المشهورين مثل سنت بوف ورينان وتين وفردينان وبرونيير وأميل فاجيه، وجول لومتير وأدولف بريسون وغيره من المعاصرين لا يتعدى نقد مؤلفات.

من ثم لا نطالب في هذه الحالة علينا ألا نطالب المؤلف بدراسة التأثير لأن هدفه النهضة الأدبية.

وهذا قد يفسر لنا الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى عدم الاهتمام بمصطلح الأدب المقارن، فلم تشير أية دراسة سابقة إلى هذا المصطلح، فقد ظهر لأول مرة عام 1936م، لدى كل من خليل هنداوي، وفخري أبو السعود في مجلة الرسالة، وكانت الريادة في ذكر المصطلح تنسب إلى فخري أبو السعود، إلى أن اكتشف حسام الخطيب مقالة خليل هنداوي التي نشرت قبل أول مقالة تحمل هذا المصطلح عند فخري أبو السعود بثلاثة أشهر، ولا يهمنا هنا أن نرجح كافة أحدهما وإنما أن نتعرف على تأثير التفكير النهضوي لدى الكاتبين الواعين بالمصطلح[1].

بدأ فخري أبو السعود منذ سنة 1935م، نشر مقالات في الرسالة تناول في كل مقالة ظاهرة أدبية يقوم بتتبعها في الأدبين العربي والإنجليزي ولكن مصطلح الادب المقارن لم يظهر إلا عام 1936م بعد نشر عدد من هذه المقالات، ففي 1936/9/21م ظهرت مقالة له بعنوان "في الادب المقارن: الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والإنجليزي" وأستمر ظهور المصطلح مضافا إلى عناوين كافة المقالات اللاحقة، ومن الغريب أن الكاتب في المقالات السابقة لذكر المصطلح، وفي المقالات التي أضاف إلى عناوينها هذا المصطلح يعالج التشابه الاختلاف بين الأدبين، دون الالتفات لما وضعه الفرنسيون في تعريف هذا المصطلح، وتحديد مجاله بدراسة التأثير والتأثر بين أدبين قوميين مختلفين في اللغة، ولا أتفق مع الذين حاولوا أن يجعلوا جهوده سبقاً للمنهج الأمريكي الذي ظهر في الخمسينيات من القرن العشرين أي بعد هذه المقالات بما يقرب من خمسة عشر عاما، بحجة أنه انصرف إلى دراسة تشابه النصوص ولم يهتم

[1] المحاضرة السابقة، ص 36.

بالتأثير، فعطية عامر يقول مقيما جهود فخري أبو السعود: "إذا عرفنا ذلك كله كان من حقنا أن نقول أن فخر أبو السعود قد خرج بالأدب المقارن من مجال الاتجاه التاريخي قبل أن تبدأ المدرسة الامريكية ثورتها ضد الاتجاه التاريخي"[1]

ومن الجدير بالذكر أن فخري أبو السعود لم يكن مهتما كثيرا بجمالية النصوص، ولم يهمل دراسة التأثير فلديه مقالة صدرت عام 1934م، قبل ظهور هذه المقالات التي يقارن فيها بين الأدبين العربي والإنجليزي بعنوان "الأثر اليوناني في الأدب العربي" ولكنه ينطلق في دراساته المقارنة من نسق ثقافي نهضوي كغيره من المقارنين العرب في دراسة التشابهات ولا تمثل سبقا للاتجاه الأمريكي، ولا تعد خروجا من متطلبات الأدب المقارن على رأي بعض المقارنين المتعصبين للاتجاه الفرنسي لأنه منطلقات المقارن العربي في تلك المرحلة تختلف عن منطلقات الاتجاهين سواء أدرس التأثير أم التوازي، فهو يرمي من خلال ذلك إلى الكشف عن جوانب النقص في أدبنا، من خلال تعريف القارئ على ايجابيات الآداب الأخرى، فهو يقول في معالجته لأثر اليونان في أدبنا القديم، منبهاً إلى أهمية التأثر والإفادة من الآداب الأخرى، وخطورة الانغلاق والتقوقع: "فلا غرور إن طفرت تلك الآداب الغربية التي لم تكد في عهد النهضة تكون شيئا مذكورا فإذا هي بعد قرون ثلاثة أو أربعة تسبق الأدب العربي وأعرق منها لأن الأدب العربي الذي لم يكد يستفيد بأدب أمة أخرى ظل في مكانه جامدا يكرر نفسه ويعيد على نفسه الأبواب عينها التي جعل فيها المتقدمون من فخر ورثاء ومدح وهجاء، حتى إذا كان العصر الحديث إذا هو يقف من الآداب الغربية موقف التتلمذ والتلقن"[2].

أما خليل هنداوي فقد تبقى فخري أبو السعود إلى ذكر مصطلح الأدب المقارن والتعريف به، ويعد رائدا في هذا المجال، حيث نشر في الرسالة في 8جوان 1936م، مقالة عنوانها: "ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي اشتغال العرب بالأدب المقارن أو ما يدعوه الفرنجة comparee literature في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد" فقد ذكر المصطلح الفرنسي، والمصطلح العربي المقابل، ومع ذلك في التعريف بالمصطلح، بالمفهوم الفرنسي للأدب المقارن، وإنما ركز على الأبعاد التواصلية، والانسانية بما يتلاءم مع التوجه النهضوي العربي الداعي إلى الانفتاح على آداب العالم فينظر إليه على أنه وسيله من وسائل الاتصال بين الأمم، يقول" وهكذا

[1] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 37.

[2] المحاضرة نفسها، ص 38.

نشأت الصلات الأدبية بين الأمم وربطت بين المفكرين ربطا لا يقوم على مصالح سياسية أو مطامع مادية، وإنما يقوم على رفع منارة الفكر وإعلاء كلمة المفكر فما أطهر هذه الرابطة لو أنها تخرج من هذا العالم غير المحدود إلى العالم الذي سورته الحدود فنجد الأديب الفرنسي يحلل الأديب الألماني دون أن تطغى على قلبه سورة الحقد وتجد الأديب الألماني يكتب عن الاديب الفرنسي من غير أن تغلب عليه موجدة. ذلك أن عالم الفكر سما بهما فوق عالمهما المحدود الذي غمرته الحزازات، وتقطعت بين وشائجه السباب فهما يتفاهمان في ذلك العالم ويصافح بعضهما بعضا[1].

ومن هذا المنطلق يحدد مجالات الأدب المقارن فتبدو مختلف عن مجالات الاتجاه الفرنسي الذي اهتم بدراسة التأثير، يقول: "هذا هو الأدب بالمقارنة يعمل على درس مميزات أدب كل أمت بمقارنتها مع ميزات غيرها من الأمم وهو أدب كما قلت حديث الخلق شجع على نشره شيوع رسالة الأدب الإنساني".

ومن الطبعي فقد ظل الأدب المقارن في الوطن العربي إلى مطلع الخمسينيات متأثرا بالنسق الثقافي النهضوي في تلك المرحلة، فانطلق المقارنون العرب في دراستهم التطبيقية، وفي تحديد مفهوم هذا المصطلح من الحرص على أهمية التواصل بين العربي وغيرهم من الأمم لأحداث نهضة شاملة في الأدب العربي، ولذا نجد أنهم تركوا بصمات تميزهم على الاتجاه الفرنسي الشائع في تلك المرحلة، فاختلاف الأنساق الثقافية كما ذكرنا من قبل كان سببا في ظهور اتجاهات أخرى بعد ظهور الاتجاه الفرنسي كالاتجاه الأمريكي والاتجاه الماركسي والاتجاه الألماني[2]، وإذا كانت الدراسات العربية قد ظهرت قبل ظهور معظم هذه الاتجاهات، فإن ذلك يدل على أن الباحث العربي حدد مفاهيم الأدب المقارن وتطبيقاته بما يتلاءم مع منطلقاته في تلك المرحلة، وكما لا يجوز أن نخرج الدراسات الأمريكية التي لا تتناول التأثير من الأدب المقارن، لأنها لا تلتزم بشروط الاتجاه الفرنسي، كذلك لا يجوز أن نقيم الدراسات العربية من هذا المنظور، فلم تبدأ مرحلة تبني الاتجاهات الغربية في الأدب المقارن دون مراعاة لخصوصية النسق العربي إلا في الخمسينيات من القرن العشرين عندما عاد الدكتور محمد غنيم هلال من فرنسا، يحمل شهاده الدكتوراه في الأدب المقارن وفق الرؤية الفرنسية، فأصدر كتاب " الأدب المقارن" عام 1953م، الذي كان له تأثير كبير في شيوع الاتجاه الفرنسي في الوطن العربي حتى مطلع السبعينيات، وتوالى بعد

[1] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 40.

[2] المحاضرة نفسها، ص 41.

ذلك ظهور أو تبني الاتجاهات الأخرى، فظهر الاتجاه الأمريكي في السبعينيات وما بعدها "بتأثير ترجمة كتاب رينيه ويليك، وواستن وارين" نظرية الأدب عام 1972م، وتعتبر بداية الثمانينات في العالم العربي بداية الموجة الجديدة في الأدب المقارن بعد غنيمي هلال، هذه الموجة تعرفت أكثر على المنهج الأمريكي، وبدأت تقتنع باحتضار المنهج الفرنسي. وهذا يعني أن بعض المقارنين العرب لم يعترفوا بحق المقارنين العرب الرواد، في الخروج عن قواعد الاتجاه الفرنسي، بينما استجاب بعضهم إلى دعوات الاتجاه الأمريكي الذي قام على أنقاض الاتجاه الفرنسي فيما بعد استجابة لسياق يلبي توجهات الثقافة الأمريكية.[1]

[1] د. مصطفى فاروق عبد العليم، المحاضرة السابقة، ص 42.

الفصل الثاني: دراسة في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز

- ✓ المبحث الأول: رفاعة الطهطاوي ودوره في حركة النهضة في مصر
- ✓ المبحث الثاني: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز دراسة فنية وجمالية.
- ✓ البحث الثالث: الأنا العربية والآخر الغربي بين الائتلاف والاختلاف.

الفصل الثاني: دراسة في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز

المبحث الأول: رفاعة الطهطاوي ودوره في حركة النهوض في مصر.

أ/ رفاعة الطهطاوي وإنجازاته والفترة التي كان فيها:

-1التعريف بالمؤلف:

رفاعة رافع الطهطاوي (1216-1290/1801-1873) هو رفاعة بك بن البدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، ويلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابد بن حسين بن فاطمة الزهراء[1].

ولد رفاعة رافع الطهطاوي في 15 أكتوبر 1801 في طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج من صعيد مصر، وكان أجداده من ذوي اليسار، حفظ القران الكريم وقرأ كثيرا من المتون المتداولة على أخواله، وفهم جماعة كبيرة من العلماء الأفاضل مثل (الشيخ عبد الصمد الانصاري) و(الشيخ ألي الحسن الانصاري) و (الشيخ فراج الانصاري) وغيرهم[2].

كان يجاهد في المطالعة والدرس جهادا حسنا، حتى نال من العلم شيئا كثيرا، ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول، وكان من بين العلماء الذين أرسلهم محمد علي باشا إلى فرنسا، ليكونوا له عونا في فتح المدارس وبث العلوم في أبناء البلاد، فعكف رفاعة الطهطاوي على دراسة اللغة الفرنسية رغبة منه في تحصيل العلوم، وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوما أخرى، وكان ميالا إلى التأليف والترجمة[3].

تقلد مناصب عدة إذا ولاه (محمد علي) على منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي أنشأها سنة 1242 في قرية أبي زعبل قرب القاهرة، وكان أول من باشر بإنشاء جريدة عربية في سائر المشرق، وهي جريدة "الوقائع المصرية" سنة 1248 وهي لا تزال إلى الآن، وهي الجريدة الرسمية المصرية. كما أسس نظرة الألسن[4] واهتم بترجمة كثير من الكتب العلمية الاجنبية في مختلف العلوم الحديثة، وظل رفاعة يعطي عطائه إلى أن توفي عام (1873) في القاهرة بعد أن ترك ثروة من الكتب[5].

/2 المؤلفات:

---

[1] جورجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج 2، الفصل 3، ص 31.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص 32.

[4] مدرسة الألسن، مدرسة لترجمة العلوم الفرنسية إلى اللغة العربية أسسها رفاعة رافع الطهطاوي.

[5] جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 33- 34.

1) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، أو الديوان النفيس بإيوان باريس وهو الذي كتبه الطهطاوي في باريس مصورا فيه رحلته فيها، وتقدم به إلى لجنة الامتحان في 19 أكتوبر سنة 1820 ثم أضاف إليه فصولا بعد عودته إلى مصر، وطبع في حياته طبعتين: الأولى سنة 1834 والثانية 1849، ثم طبعا بعد وفجأة المؤلف طبعا ثالثة سنة 1905 وقد جاءت طبعته الثالثة على أساس الطبيعة الاولى بينما امتازت بإضافات وتعديلات أجراها الطهطاوي في الكتاب.
2) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية وهو الذي خصصه الطهطاوي لمعالجة "التمدن" وأودع فيه فكره الاجتماعي ولقد طبع في حياة المؤلف سنة 1829 ثم طبع مرة ثانية بعد وفاته في سنة 1911[1].
3) المرشد الأمين في تربية البنان والبنين وهو الذي خصصه الطهطاوي لفكره في التربية، وآثاره في الوطنية، والتمدن ولقد طبع في العام الذي توفي فيه الطهطاوي.
4) أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل وهو الجزء الاول من موسوعة التاريخ التي كان الطهطاوي قد عزم على تأليفها، ويضم هذا الجزء تاريخ مصر القديمة حتى الفتح العربي، وتاريخ العرب حتى إرهاصات ظهور النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام ولقد طبع في حياة المؤلف.
5) نهاية الإيجار في سيرة ساكن الحجاز وهو الجزء الثاني من موسوعة التاريخ التي شرع فيها المؤلف، خصصه لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقومات البناء السياسي والإداري والقضائي الدولة الاسلامية الاولى، وهو آخر كتاب ألف الطهطاوي، وكان قد سرعة في نشره بملاحق (روضة المدارس)، ثم أعاد نشره في صورة كتاب، وتوفي وهو يصحح تجارب الطبع، فأكمله ابنه علي فهمي رفاعة تصحيح تجارب طبعه على نمط والده، وصدرت طبعته سنة 1783[2].
6) القول السديد في الاجتهاد والتجديد وهو بحث في موضوع الاجتهاد في الإسلام، والذين يأتون ليجددوا لهذه الأمة أمر دينها نشره الطهطاوي كملحق لروضة المدارس ثم طبع ككتاب صغير.
7) التحفة المكتبة لتقريب اللغة العربية) وهي محاولة لتبسيط قواعد اللغة العربية وتسيير تعليمها، طبعت، طبع حجر في حياة المؤلف سنة1829 .

[1] محمد عمارة، **رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث**، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط 1، ط 2، ط 3، 2009، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

8) جمل الاجرومية وهي منظومة في نحو اللغة العربية، طبعا سنة.1823

9) تخميس قصيدة الشهاب محمود وهي في ستة وأربعين بيتا، طبعت سنة1891[1] .

10)قصيدة وطنية مصرية أنشأها رفاعة في مدح الخديو محمد سعيد وطبعت سنة1855.

11)قصيدة وطنية مصرية قالها الطهطاوي في مدح الخديو إسماعيل، وطبعت سنة1864 .

12)الكواكب النيرة في أفراح العزيز المقمرة وهي مجموعة تهاني لبعض الأمراء طبعت سنة1872 .

13)منظومة وطنية مصرية مطبوعة سنة.1822

14)منظومة وطنية مصرية مطلعها :(هيا نتحالف يا إخوان) طبعا سنة1855 .

15)منظومة مصرية وطنية مطلعها:(يا جند مصر لكم فخار) طبعت سنة 1855.

16)منظومة مصرية وطنية مطلعها: (يا حزبنا ثم بنا نسود) طبعت سنة 1855[2].

17)منظومة وطنية مصرية مطلعها: (يا سعد أتحف مسمعي بصبا الصباح) طبعت سنة 1855.

18)مجموعة في المشاهير الأربعة مازال مخطوطا ولم يطلع من قبل.

19)أرجوزة في التوحيد نظمها الطهطاوي وهو طالب في الأزهر ولم تطبع من قبل.

20)خاتمة لقطر الندى وبل الصدر أنشأها الطهطاوي وهو طالب في الازهار ولم تطبع من قبل.

2/ المترجمات:

1) تاريخ القدماء المصريين.

2) تعريب قانون التجارة.

3) تعريب القانون المدني الفرنساوي.

4) التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا.

5) جغرافية صغيرة.

6) رسالة المعادن.

7) قلائد المفاخر في غريب عوائد الأولى والأواخر[3].

8) كتاب قدماء الفلسفة.

9) مبادئ الهندسة.

---

[1] عمارة محمد، المرجع السابق، ص 123.

[2] المرجع نفسه، ص 125.

[3] المرجع نفسه، ص 126.

10)المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق.

11)المنطق.

12)مواقع الافلاك في أخبار الاسماك.

13)هندسة ساسير.

14)روح الشرائع[1].

15)أصول الحقوق الطبيعية، التي تعتبرها الافرنج أصلا لأحكامهم[2].

16)نظم العقود في دير العود.

17)نبذة في تاريخ اسكندر الاكبر.

18)تقويم سنة.1244

19)مقدمة جغرافية طبيعية.

20)ثلاث مقالات من كتاب "الجندر" في علم الهندسة.

21)قطعة من عمليات رؤساء ضباط العسكرية.

22)نبذة في علم هيئة الدنيا.

23)نبذة في الميثولوجيا يعني جاهلية اليونان وخرافاتهم[3].

24)نبذة في علم سياسات الصحة التي ترجمها بباريس، ونشرها في (تلخيص الإبريز).

25)الدستور الفرنسي الذي نشره في (تلخيص الإبريز) أيضا.

26)كتاب الجغرافيا العمومية.

27)أطلس جغرافي[4].

ب/ حملة نابليون بونابرت على مصر:

شهدت مصر حملة بونابرت (1613هـ /1798م) العسكرية، التي لقيت مقاومة من المماليك سرعان ما انهارت في أول مواجهة بين جيشه العصري وجيوشهم التي كانت قطعا أثرية متلكئة من الزمن الغابر، تنتظر من يدفعها إلى عالم الذكريات ومتحف التاريخ، ولكن لقيت هذه الحملة

[1] عمارة محمد، المرجع السابق، ص 127.

[2] المرجع نفسه، ص 128.

[3] المرجع نفسه، ص 129.

[4] المرجع نفسه، ص 130.

العسكري البونابرتية كذلك مقاومة شعبية استمرت نارها مشتعلة حتى اضطر "بونابرت" إلى الرحيل عن مصر، هرباً من المواجهة والعزيمة، كما اضطر جيشه إلى الانسحاب في 15 أكتوبر 1801م، وهو اليوم الذي ولد فيه "رفاعة رافع الطهطاوي"[1].

ومع هذه الحملة البونابرتية جاءت إلى مصر، خاصة، وإلى الشرق عامة صورة جديدة وأفكار جديدة، وقيم جديدة ساهمت جميعا في كسر الحاجز الذي كان قائماً حول عقول الشرقيين... وثارت في عقول الكثيرين أسئلة كثيرة: لماذا انهزم العثمانيون وفروا؟ وتحطم غرور المماليك وجيشهم في أول لقاء؟ ولماذا تحمل منشورات "بونابرت" نغمة لا تردد النفس في قبولها والترحيب بها إلا أنها صادرة عن الغزاة؟ ولماذا نحن غرباء عن هذا العالم الذي تمثله البعثة العلمية التي صحبت الجيش الغازي؟ وهل حيوية هؤلاء الغزاة وقوتهم مبعثها الحضارة الجديدة والفتية القائمة على علم هؤلاء العلماء؟[2].

نجحت الحملة الفرنسية في أن تلعب دور "خطر الماس الكهربائي" الذي لامس عقول الشرقيين وخاصة المصريين والعرب والمشارقة إلى الحد الذي " ينبه ويوقظ" دون أن "يصعق ويميت" ولعبت بعثة العلماء التي صحبت الجيش الغازي أهم الأدوار عندما فتحت العيون، لا على علوم المواقيت والأهلة والمواريث فقط، بل على الكمياء والطوبوغرافيا والتاريخ والإدارة والاقتصاد والفن وغيرها من العلوم العلمية والإنسانية... وتذكر بعض الذين احتكوا بعلماء هذه البعثة أن في تراثهم، هم العرب أصولا وجذورا لأغلب هذه العلوم وبدت أمام البعض معالم طرق مازال يكتنفها الضباب والغموض، ولكنها توحى بأن سقوط "سور التخلف العثماني والمملوكي" يفتح طرقا آمنة تصل حياة هذه الأمة وحاضرها ومستقبلها بهذه الحضارة الأوروبية الحديثة، وبالتراث الحضاري العربي والإسلامي في عصره الذهبي، وبهذا تتخطى هذه الأمة أسوار العزلة، فتصل ما تمثله من الحضارة الفرنسية والأوروبية بتراثها الحضاري العربي الإسلامي، ثم تواصل طريقة الإبداع والإضافة والخلق والتجديد، كما صنع أسلافها مع تراث اليونان والفرس والهنود[3].

[1] عمارة محمد، المرجع السابق، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] المرجع نفسه، ص 16.

ثارت في العقول كل هذه الأسئلة ولاحت في عديد من "المخيلات" كل هذه الرؤى والأحلام وكان هذا هو النجاح الأول الذي أسهمت به حملة "بونابرت" في بعث الشرق العربي من جديد... لقد كانت الخطر الذي حرك عوامل المقاومة في جسم الأمة وعقلها.

أما النجاح الثاني الذي أصابته هذه الحملة ولعلها لم تكن تقصد كل أبعادها ومزاياه، فإنه يتمثل في إلحاحها المستمر على زرع الثقة في العنصر الوطني المصري، كي تضرب نقطة الضعف التي تجعل هذا العنصر يسلم زملائه للأتراك والمماليك[1].

فقبل الحملة الفرنسية كانت هبات الشعب وثوراته تقف دائما عند حدود الإطار العثماني والمملوكي لا تتعداه... كانت تناظم ضد "المظالم"، لا من أجل "الاستقلال" وحتى الاستقلال التي ناضلت في سبيله أحيانا كان مقصوداً به استقلال ملوك أو مماليك بحكم هذه البلاد ... أما الحملة الفرنسية فإنها قد لامست بعنف، وهزت من الأعماق أوتار الحس الوطني والمشاعر القومية عدة قرون.

ولقد كانت الناس في مصر يفكرون تفكيرا "إسلاميا" يعرف "الملة" دون التركيز على "الوطن" أو "القومية".. فسلكت الأفكار "الوطنية والقومية"، التي ألقى الفرنسيون بذورها في تربة مصر، سلكت إلى عقول الناس يومئذ طريقة "العقلانية"، واحتكت وإياهم إلى العقل، وغلفت نفسها بأغلفة من الدين.

ونحن نقرأ في منشور "بونابرت" الذي وجهه إلى المصريين قوله:" ...إن جميع الناس المتساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط". وبين المماليك والعقل والفضل تضارب، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يمتلكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شيء حسن فيها، من الجوارى الحسان، والخيل العتاق، والمساكن المفرحة.

فإذا كانت الأرض "التزاماً" للمماليك، فليرونا "الحجة" التي كتبها الله لهم من الآن فصاعدا، لا ييأس

أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالمية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها[2].

[1] عمارة محمد، المرجع السابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 18- 19.

فشلت إذا حملة "بونابرت" العسكرية... ونجحت البعثة العلمية التي صحبت جيشه في "تنبيه وتحريك" الحس الوطني والشعور القومي... فتساءل وتخيل.. وراودته أحلام البعث والنهضة والإحياء التي ترتكز على دخول حلبة الإنسانية الواعية من جديد... فاليونان أخذوا عن المصريين القدماء... والعرب أخذوا عن اليونان والفرس والهنود وأوروبا، بكل أجناسها وأقوامها أخذت عن العرب إذن فمن المفيد والممكن أن ندخل نحن الميدان من جديد، بعد أن تخدرنا بالخرافة قرونا، فنأخذ عن أوروبا ونصل هذا الزاد الحضاري بالمشرق من صفحات حضارتنا القديمة، ونواصل السير كي نبدع ونضيف كما صنع أسلافنا الأقدمون... لقد أراد الغزاة الفرنسيون سلخ الشرق، بالوطنية والقومية عن الإسلام، فكانت ثقافة الشرق إلى الوطنية والقومية في إطار الإسلام[1].

المبحث الثاني: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز دراسة فنية وجمالية

أ/ رحلة رفاعة الطهطاوي إلى باريس وعودته إلى مصر:

هي رحلة سجلها رفاعة الطهطاوي في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وكان الشيخ الأزهري قد زار باريس وأقام بها مدة خمس سنوات كأحد أفراد أول بعثة علمية أرسلها محمد علي حاكم مصر ضمن برنامجه الإصلاحي الذي كان قد تبناه بعد خروج جيش نابليون من مصر، والباعث الأول لرفاعة الطهطاوي على تقييد رحلته هو الرغبة في التنبيه على ما يقع في سفرته وعلى ما يراه ويصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة، ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا (عرائس الأقطار)، وليبقى دليلا يهتدي به إلى السفر إليها طلاب الأسفار، خصوصا وأنه لم يظهر حتى ذلك الوقت شيء باللغة العربية في تاريخ مدينة باريس ولا في تعريف أحوالها وأحوال أهلها، وكانت هذه هي أيضا رغبة وتوصية بعض أقارب الشيخ ومحبيه، ولا سيما شيخه حسن العطار الذي كان مولعا بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب آثار[2] أما الباعث الثاني له على تقييدها فهو رغبته في حث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع التي رآها وانتفع بها في بلاد الإفرنج ما أبقاها طوال مدة إقامته في حسرة على تمتعها بذلك دون ممالك الإسلام لخلوها من ذلك، ولهذا لم تقتصر رحلة الطهطاوي على

[1] محمد عمارة، المرجع السابق، ص 20.

[2] د. حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 2، 1983، ص 69.

ذكر السفر ووقائعه، وإنما اشتملت أيضا على ثمرته وغرضه، وعلى إيجاز العلوم والصنائع المطلوبة. يمكن أن يقال بأن هذا الجزء الأخير قد غطى القسم الأكبر من كتاب الشيخ، إن لم يكن أوفى الأجزاء أيضا.

لقد كان الشيخ عند اقاربه ومحبيه في سرعة تقييد الرحلة، إذا ما ودعهم في القاهرة عصر يوم الجمعة، ثامن من شهر شعبان، سنة واحد وأربعين ومائة بعد الألف، حتى راح وهو على ظهر النيل يعد نفسه لتدوين ملاحظاته التي بدأ يوليها اهتمامه منذ دخولهم الإسكندرية التي ظهرت له، دون غيرها من بلاد مصر، أنها قريبة الميل في وضعها وحالها إلى بلاد الإفرنج (أوروبا) لكثرتهم بها لسريان الشيء من اللغة الطليانية بين أغلب السوقة فيها. ولا يفوت الشيخ أن يخلد في كتابه الحثوات العظيمة من الماء المالح التي تجرعها من البحر قبل ركوبه لدفع ألمه، كما علمه بعض من سافر من العلماء إلى إسطنبول، أو تلك السفينة الحربية الفرنسية التي أقلتهم إلى مرسيليا طوال ثلاثة وثلاثين يوما عبر البحر. وهو خلال هذه الفترة لا يبخل علينا بوصف حياة الإفرنج على ظهر تلك السفينة، فيحمد لهم محافظتهم على النظافة برغم أنه (ليس عندهم مثقال ذرة من الإيمان). ويذكر مرورهم على جزيرة (قرسقة) حتى وصولهم إلى مرسيليا. وبعدها إلى باريس عن طريق البر بالعربات، ومن الطريق أن يعرض علينا نموذجا على قيود السفر في ذلك الوقت، فبعد خمسة عشر يوما، من السفر يقول" رسينا على مدينة مسينا، ولم نخرج من السفينة أبداً لأنهم لا يمكنون من يجيء من البلاد الشرقية إلى بلادهم يدخلها إلا بعد الكرنتينة، وهي مكث أيام معلومة لإذهاب رائحة الوباء لكنهم يجيئون الإنسان بسائرها ما يحتاج، ويناولهم الثمن فيضعفونه في ماعون فيه خل ونحوه مع التحفظ التام[1]. وفي مرسيليا يتحدث رفاعة الطهطاوي عمن خرج مع الحملة الفرنسية من نصارى مصر والشام وبعض المسلمين الذين تنصروا والعياذ بالله.

ويبدو أن اهتمام الشيخ الطهطاوي كان منصبا أكثر ما يكون على مشاهداته وملاحظاته في باريس أكثر من غيرها من المدن، ولربما كان ذلك أمرا طبيعيا بحكم إقامته الطويلة فيها بالذات. فقد أولاها فعلاً كل اهتمامه فعرض إلى تسميتها وتخطيطها من جهة وضعها الجغرافي وطبيعة أرضها ومزاج إقليمها وقطرها، وتحدث عن قناطرها على نهر السين الذي يخترقها، وعن قنوات الماء والصهاريج فيها، وعن مطاياها من العربات كثيرة التنوع والقرقعة التي لا تنقطع في النهار أو في الليل، وهو يسهب كثيرا في الحديث عن أهل باريس وطباعهم وعادة سكانها، ويصف بيوتهم ونظافتها وترتيبها، وتغذيتهم وعاداتهم في الأكل والشرب، يدهش الأزهري ابن الصعيد، في ذلك الوقت نظام المائدة الذي يراه لأول مرة في

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 70.

باريس، فلا يملك إلا أن يصفه بانه ترتيب عظيم جداً، وفيه يقول: « وعادة الفرنساوية الأكل في الأطباق كالطباق العجمية أو الصينية لا في آنية النحاس أبداً،ويضعون على السفرة دائماً قدام كل إنسان شوكة و سكيناً،و ملعقة والشوكة والملعقة من الفضة، ويرون أن من النظافة أوالشلبقة أن لا يمس الإنسان الشيء بيده وكل إنسان له طبق قدامه بل و كل طعام له طبق عظيمة موضوعة على السفرة ثم يشرب فلا يتعدى أحد على قدح الآخر، في أواني الشرب دائماً من البلور والزجاج وعلى السفرة عدّة أواني كذا صغيرة من الزجاج أحدهما فيه الملح والآخر فيه فلفل و في الثالث خردل إلى آخره، وبالجملة آداب سفرتهم و ترتيبها عظيم جداً. وابتداء المائدة عندهم الشوربة واختتامها الحلويات والفواكه»[1]، ويعجب الشيخ بكثير من طباع الفرنسيين وخصالهم التي يختصون بها بين كثير من النصارى، كذكاء العقل ودقته، وغوص ذهنهم في العويصات حتى أن عامتهم يعرفون القراءة والكتابة ويتعمقون مع غيرهم في الأمور، فهم ليسوا من قبيل الأنعام كعوام أكثر البلاد المتبربرة، ويعجبه من خصالهم محبتهم الغرباء وميلهم إلى معاشرتهم خصوصاً إذا كان الغريب متجملاً بالثياب النفيسة.

ويرى أن ما يحملهم على ذلك الرغبة والتشوق إلى السؤال عن أحوال البلاد وعوائد أهلها ليظفروا بمقصدهم في الحضر والسفر، ويذكر من طباعهم أيضا ما هو معروف عنهم حتى اليوم من التطلع والتولع بسائر الأشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل في سائر الأمور خصوصا في أمر الملبس فإنه لا قرار له أبدا عنهم، ولم تقف لهم إلى الآن عادة في التزيين.

وهو يراهم أقرب للبخل من الكرم مع أنهم يصرفون الكثير من الأموال في حظوظ النفس والشهوات الشيطانية واللهو واللعب، وكذلك فهو يرى الرجال عندهم عبيداً للنساء مع عدم الغيرة عليهن برغم قلة عفاف الكثير من نسائهم[2] أزهرية الشيخ ووقاره لم يمنعها من التعرض للخوض في الكلام على نساء الفرنسيين وجمالهن وأزيائهن وبعض عاداته، فصور حياة النساء في باريس في قوله « ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسن المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنتزهات وربما حدث التعارف بينهم وبين بعض الرجال في ذلك المجال سواء الأحرار وغيرهم خصوصا يوم الأحد الذي هو عيد النصارى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين في البارات والمراقص...وكما قيل أن باريس جنة النساء... وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أوبجمالهن... وملابس النساء في بلاد الفرنسيس

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 71.

[2] المصدر نفسه، ص 72.

لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا إذا تزين بأغلى ما عليهن ومن عوائدهن ان يحتزمنا بحزام رقيق فوق أثوابهن حتى يظهر الخصر نحيفا ويبرز الردف كثيفا...ومن خصال النساء أن يشبكنا بالحزام قضيبا من صفيح من البطن الى آخر الصدر حتى يكون قوامها دائما معتدلاً لا اعوجاج فيه، ولهن كثيرا من الحيل ومن خصالهن التي لا يمكن للإنسان أن لا يستحسنها منهن عدم ارخائه الشعور كعادة نساء العرب فإن نساء الفرنسيس يجمعهن الشعور في وسط رؤوسهن ويضعن فيه دائما مشطاً ونحوه...ولا يمكن لهن ابدا كشف شيء من الرجلين بل هن دائما لابسات جرابات الساترة للساقين خصوصا في الخروج الى الطرق»[1]، ومما يشير انتباهه عادة الرجال هناك في استعمال الشعور العادية لنحو الاقرع ورديء الشعر وفي اللحى والشارب للتقليد، وهو يشعر باستعمال هذه العادة بين نساء القاهرة في زمانه والشيخ رفاعة الطهطاوي يرى ان أهل باريس غير متدينين، فلا شغل لهم في أمور الطاعات بعد اشغالهم المعتادة المعايشة، ولذا فانهم يقضون حياتهم في الأمور الدنيوية واللهو واللعب، ويتفننون في ذلك تفننا عجيبا، ويذكر منتزهاتها العديدة كالتياتر ومجال الرقص المسماة البال والمواسم العامة والحدائق العظيمة وغير ذلك المنتزهات. ومع أنه رأى باريس في الجملة طيبة ومناسبة للصحة قد أشار إلى التقلب السريع في طقسها بين الحر والبرد الشديدين حتى في اليوم الواحد. وقد لفت برد باريس[2] انتباهه إلى عناية الفرنسيين بمدافئ النار في بيوتهم واعتبارها من زينة المحل، فجره الحديث عنها الى تبين أهمية النار في الشتاء جريا مع القول المعروف (النار فاكهة الشتاء) وفي ذلك يقول «ومن أعظم اكرام الضيف عندهم في الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب في ذلك.. الله در القائل:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل

«وبالجملة فالتدفئة في الشتاء عند الفرنساوية جزء من المؤونة فهذا ما يستعنون به على البرد»[3] ولقد تأثر الشيخ رفاعة الطهطاوي بما رأى من تقدم الحياة والحضارة في باريس ولاسيما عندما قارنها بحياة بلاده المتاخرة آنذاك. فكان ذلك بالإضافة الى جو النهضة والحركة الاصلاحية اللتين بداهما محمد علي حافزاً على تفتيح ذهن الشيخ على مظاهر هذه الحياة الجديده التي انتقل اليها، ومحاولته تلقيح الحياه المصرية بالكثير من مظاهرها التي رضي بها ورآها لا تتعارض، بل وتتفق مع ما في كتاب الله العزيز ومن هنا يمكننا القول بأن بذرة الاصلاح الحقيقية قد زرعت في نفسه وبدأت تأخذ حظها من النمو الذي

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر نفسه، ص 73.

[2] المصدر نفسه، ص 73.

[3] المصدر نفسه، ص 73.

صادف مناخا طيبا طوال خمس سنوات عاشها في بلاد الحرية، وكان إعجابه شديدا بكثير من مظاهر الحياة فيها، فصمم على إطلاع مواطنيه على هذه المظاهر تنبيها لانهم على آفاق الحياة الحقيقية المتقدمة وحث لهم على تطلبها والتطلع على تحقيقها في بلادهم.

ومن هنا كان توفره، وهوعضوالبعثة في الترجمة، على ترجمة أجزاء من الدستور (الشرطة) الفرنسي، ونبذة من قانون الصحة، وتدبير البدن وبعض النواحي العلمية المختلفه ليعرف عليها اهل بلاده من خلال كتابه الذي الفه وانه لامر على مقدار كبير من الاهميه ان ينشر رفاعة الطهطاوي في مصر تلك الايام شيئا من انظمه تدبير الدوله الفرنسية توضح علاقه مالك بدواوين الدوله والوزراء وتبين ان ملك فرنسا ليس مطلق التصرف وان السياسه الفرنساويه هي قانون مقيد بحيث ان الحكم هو الملك بشرط ان يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها اهل الديوان وان كتاب قانونهم واذا كان غالب ليس في كتاب الله تعالى ولكن يبين كيف حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالكوراحه العباد وكيف انقادت الحكام والرعاية لذلك حتى عبرت بلادهم[1].

ووضع الطهطاوي بعض المواد القانون الفرنسي التي تؤكد حق الفرنساوي المنصوب لهم امام الشعب المصرف، كالمادة التي تعلن المساواه الشامله بين جميع المواطنين امام الشريعة وأمام طلب الوظائف، كالمادة التي تضمن الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية، وحرية الدين والرأي ما دام لا يمس القانون، والمواد التي تحدد مكانة الملك ومسؤوليات الوزراء ومكانة دواوين الدولة وتؤكد استقلال وحقوق الناس التي يضمنها الديوان.

وفي الغالب فان الحديث عن ديوان الرسل العملاء مجلس النواب الذين هم وكلاء الرعية وشروط انتخابهم ومهماتهم كان شيئا جديدا على مصر بعد ان طال العهد على تجافي حكمها للشريعة الاسلامية والطهطاوي لم يكن يترجم مثل هذه المواد الدستوري الاسلامية وحسب بل هو يشرحها ويعلق عليها احيانا كانه يتعمد ان يبين مواضع قوه الشعب وحقوقه وواجبات الحكام ففي تعليق على المادة الاولى التي تعلن ان سائر الفرنسيين متساويين قدام الشريعة تقام على الملك وينفذ عليه ومن هنا هذا القبيل ايضا قوله وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لا يمكن القبض على الانسان في الصور المذكورة في كتب الاحكام ومن قبض على انسان في صورة غير منصوصة في الاحكام يعاقب

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 74.

عقوبة شديدة...[1] ولم يقتصر على نقل هذا المظهر من مظاهر الحياة الفرنسية، وانما نراه يعجب باعتناء بأهل باريس بالعلوم الطبية، فيتحدث عن مكانهم في علوم الطب والحكمة، ويشير الى كثرة المستشفيات والاطباء وتخصصاتهم وإلى بعض عادات الطب عندهم، ويبدو من كلامه أن يبين الطبيب كان بمثابة العيادة المعروفة الآن كأن نظامها لم يكن معروفا يومئذ، يقول "وللطبيب ساعات معينة يمكث فيها قصدا في بيته لتلقي الناس"[2]، وتدفعه غيرته على أهله وبلاده الى ترجمة نبذة من فن قانون الصحة وتدبير البدن، لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها لصغر حجمها ولعظم فائدتها ومنفعتها، على شكل توجيهات صحية في توقي الأمراض والعلل كيفيه معالجتها، وفي معالجة الناقه وفي شكل وصايا عامة في الصحة، وتوجيهات في كيفية بناء البيوت الصحية، وكم عرف الطهطاوي على هذه الجوانب الحياتية السائدة في باريس، فقد تعرض طويلا لتقدم أهلها في مختلف العلوم والفنون والصنايع، وبين كيف انتشرت المعارف بينهم وبلغت أوجها، وإن كان في علوم الحكمة حشوات ظلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية، ومن هنا فهو ينصح بأنه "يجب على من اراد الخوض في لغة الفرنساوية المشتملة على شيء من الفلسفة أن يتمكن من الكتاب والسنة حتى لا يغتر بذلك، ولا يفتر عن اعتقاده وإلا ضاع يقينه"[3].

ويطيل في ذكر مظاهر هذا التقدم العلمي ومراكزه، فيذكر مجامع العلماء في باريس والكليات والجمعيات العلمية المختلفة والمدارس المتنوعة وخزائن الكتب والمتاحف العلمية وبستان النباتات وحدائق الحيوانات لتجارب الزراعية والحيوانية، والمرصد السلطاني وذكاكين الكتيبة وخاناتهم، وكثرة المطابع والتأليف وإن كان المقصود من أكثرها الكسب ولا النفع، ولا ينسى أن يشير إلى ما في خزائن مكتباتهم من مخطوطات وكتب عربية. وهو يعد من معيناتهم على هذا التقدم سهولة لغتهم وسائر ما يكملها مما يسهل تعلمها ويعين على تفهم العلوم المكتوبة بها وتملكها.

ويفرد بعض فصول كتابه للحديث عن اصطلاح اللغة الفرنسية وفن الكتابة وعلم البلاغة ويقارن ذلك بما هو معروف من اللغة العربية ويستعرض في فصول أخرى بعض معارفه وترجماته في علوم المنطق والحساب والجغرافيا والتاريخ وغيرها. ولا ينسى الشيخ في باريس انه طالب علم في البعثة التي أوفد فيها فيشير الى آمال ولي النعم في سرعة تعلمهم ورجوعهم مما جعلهم يبدؤون في تعلم تهجي اللغة وهم في مرسيليا قبل وصولهم الى باريس حيث يوضع لهم نظام خاص للدراسة اليومية يتوزع أوقاتهم بين اللغة

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 75.

[2] د. حسني محمود حسين، المصدر نفسه ص 75.

[3] المصدر نفسه، ص 76.

والتاريخ والحساب والهندسة والجغرافيا وفي باريس يقيم الأربعون مبعوثا في بيت واحد لمدة سنه ثم يفرقون بعدها جماعات في مكاتب متعددة، ويعيشون في بيوت مخصوصة لتسهيل اتصالهم بأولاد الفرنسيين إعانة لهم على سرعة إتقان اللغة، وهو يورد بعض فرمانات ولي النعم التي يحثهم فيها على التحصيل، وهي على نوعين، فمنها ما كان من باب ما يسمى عند العثمانية إحياء القلوب ومنها ما كان من باب التوبيخ ويوقفون الطهطاوي على أوجه اجتهاده وتفوقه وأعماله في الترجمة أثناء هذه الفترة مما جعله يستحق بعض جوائز التفوق على شكل هدايا من الكتب، وإنه كانت له في هذه الفترة صلة قوية مع بعض المستشرقين الفرنسيين مثل "المسيو كوسين دي برسوال" و "دي ساسي" و "جومار" ويثبت بعض رسائلهم في مدح اعماله وتشجيعه على بعض صفحات كتابه[1].

عودته إلى مصر: لقد تحمل المسؤولية بمفرده، فتحمل العبء الأكبر، وأبدع وأدى لمصر وللثقافة العربية من المنجزات، مما جعله جديراً بلقب "زعيم النهضة الثقافية في مصر في القرن التاسع عشر"، ليعود إلى مصر سنة 1247هـ / 1831م، وهو يحمل معه خزانة مليئة بأرفف العلم والمعرفة، شاملة مختلف جوانب الحياة الأوروبية، اقتصاديا، سياسيا، واجتماعي، حتى فكري، ثقافيا وعلميا.

واشتغل بالترجمة في مدرسة الطب، ثم عمل على تطوير مناهج الدراسة في العلوم الطبيعية، وشاء القدر أن يقيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة ذلك البستاني النبيل أخذ بحب ودأب يغرس الأرض ببذور المدينة والتحديث، فطرحت الأرض خيرها، فبقي حريصا على تعليم وتربية أجيال جديدة أنبتتهم هذه الأرض برغم ما واجه من النفي والصعاب مثله مثل البستاني الذي يرعى الأرض برغم ما تدمي الحصى والعثرات قديمة[2].

وفي عام 1251هـ -1823م، أسس مدرسة الألسن واختار لها خمسين من الطلاب اللذين يحسنون العربية واللغة الأجنبة، ووضع في منهجها دراسة تركية وفارسية، إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية[3]، إلى جانب الهندسة والجبر والتاريخ والجغرافيا والشريعة الإسلامية، وقد بل الطهطاوي جهدا عظيما في إدارته للمدرسة، وكان يعمل فيها عمل أصحاب الرسالات ولا يتقيد بالمواعيد المحددة للدراسة، وربما استمر في درسه ثلاث ساعات أو أربعة دون توقف أو ملل أو تعب، يشرح لطلابه الأدب والشرائع الإسلامية والغربية، وهم بدورهم يقبلون عليها بشغف وتلهف، فضمت قسما لدراسة

---

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 77.

[2] صلاح زكي أحمد، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ص 23.

[3] يوسف عز الدين: **رفاعة رافع الطهطاوي والتعريب**، مجلة اللغة العربية، القاهرة، ع 90، نوفمبر، 2000م، ص 229.

الإدارة الملكية العمومية لإعداد الموظفين اللازمين للعمل بالإدارة الحكومية، وقسما أخر لدراسة الإدارة الزراعية الخصوصية، كم ضمت قسما لدراسة الشريعة الإسلامية على مذهب أبي حنيفة النعمان لإعداد القضاة، وأصبحت بذلك مدرسة الألسن أشبه ما تكون بجامعة تضم كليات الآداب والحقوق والتجارة، وكان رفاعة الطهطاوي يقوم إلى جانب إدارته الفنية للمدرسة باختيار الكتب التي يترجمها تلاميذ المدرسة، ومراجعتها وإصلاح ترجمتها، "فأحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلاميذها 250".

كذلك أنشأ مدرسة المحاسبة لدراسة الاقتصاد، ومدرسة الإدارة لدراسة العلوم السياسية، "وأحيل على رفاعة مع إدارة المدرسة، إدارة عدة مهام: المدرسة التجهيزية معهد الفقه والشريعة الإسلامية، معهد المحاسبة ومدرسة الإدارة الإفرنجية والتفتيش على مدارس الأقاليم وتحرير الوقائع المصرية".

ومنها بدأ مشروعه الثقافي الكبير، ورسم خطط المستقبل واللبنات الأولى لحركة النهضة، وظل جهده يتنامى بين الترجمة والتخطيط والإشراف على التعليم والصحافة.

ومع تولي الخديوي عباس حكم مصر أغلق مدرسة الألسن وأوقف أعمال الترجمة، ونفى الطهطاوي إلى السودان تحت شعار إنشاء مدرسة ابتدائية هناك وتعيينه ناظراً لها، وكان سبب نفيه ربما كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي يحتوي على آراء ومبادئ لا يرغب فيها الحاكم المستبد. غير أنه واصل مسيرته في منفاه ولم يتوقف عن الترجمة، وهناك ترجمة مسرحية "تليماك لفنلون"، فقد ذكر أنه قصد ترجمة "تليماك" إسداء نصائح إلى الملوك والحكام، وتقديم مواعظ لتحسين سلوك عامة الناس[1].

وبعد مرور أربعة أعوام على نفيه، تولى سعيد باشا الحكم، عاد الطهطاوي إلى مصر، "فعين وكيلا للكلية لحربية ومديرا لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة مع الاحتفاظ برئاسة قلم الترجمة". أما في السيرة النبوية فقد كتب "نهاية الإيجاز في تاريخ ساكن الحجاز" ومن مؤلفاته أيضا القول السديد في الاجتهاد والتجديد، تعريب القانون المدني الفرنساوي، مغامرات تليماك، والعديد من المؤلفات الأخرى وقد قضى رفاعة فترة حاملة من العمل والاجتهاد والإبداع، "كان له قدم عظيم في النهضة الفكرية في فجر العصر الحديث... ومازال يرعى هذه الحركة الفكرية والأدبية حتى توفى سنة 1290هـ /1873م.

ويعد من أهم الدعائم الفكرية التي قامت عليها النهضة لتي أرادها محمد علي باشا في مصر، فدور الطهطاوي في حركة الترجمة وإنشاء مدرسة الألسن كان له أثر هام في نمو التطوير العلمي والثقافي في

[1] أحمد هيكل، **تطور الأدب الحديث في مصر**، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1994، ص 40.

مصر، ولم يقف دوره على الترجمة والنقل فقط للعلوم والفنون الفكرية المختلفة وإنما كانت له العديد من الإسهامات الإبداعية أيضا، ويجيء في مقدمتها مؤلفه الشهير" تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

كما أن الطهطاوي قد تعرض للعديد من المفاهيم الفكرية التي قامت عليها الدولة الحديثة، وهكذا نرى أن الطهطاوي يعتبر واضع بذور التجديد في الأدب المصري الحديث، "فأدبه يمثل دور الانتقال من النماذج المتحجرة التي تحمل غالبا عفن العصر التركي، إلى النماذج المتجددة التي تحمل نسمات العصر الحديث"[1]

ب/ محتوى الكتاب:

تلخيص الابريز في تلخيص باريس هو الكتاب الذي الفه رائد التنوير في العصر الحديث رفاعي الطهطاوي يمثل هذا الكتاب علامه بارزه من علامات التاريخ الثقافي المصري والعربي الحديث فهو بلا شك واحد من اهم الكتب العربية التي وضعت خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر هو التي ساعدت في بناء الحضارة العربية الشامخة لذا تعتبر كتب الرحلة وسيله من وسائل جمع المعارف فكان هاجس الرحالة هو حب الاستطلاع الذي يقودهم مما جعل بعض الدارسين يدخلون ادبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية[2].

وأصل هذا الكتاب هو تدوين الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ما شاهد اثناء بعثه لباريس من عجائب وغرائب أذهلته على حد قوله ومن طبائع الفرنسيين وعاداتهم في شتى امور الحياة والباعث الاول رافع رفاعة الطهطاوي على تقييد رحلته هو الرغبة في التنبيه على ما يقع في سفرته وعلى ما يراه ويصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة[3] لذلك سمي تخليص الإبريز في تلخيص والإبريز الخالص هو الذهب المصفى ونجد الشيخ يضع في المقدمة عنوان آخر وهو "الديوان النفيس بإيوان باريس" والايوان مكان متسع من البيت، "هو أول كتاب عصري في مصر وبالتالي في العالم الإسلامي خلال الأزمة الحديثة، وهو عصري ليس فقط بمحتواه وكذلك بلغته وأيضا بشكل تأليفه"[4]

وهو كتاب صغير الحجم لكن محتوى كبير حيث يقول الطهطاوي:

---

[1] أحمد هيكل، المرجع السابق، ص 42.

[2] سيد حامد النساج، **مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا**، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص 80.

[3] ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي**، ص 69.

[4] عزت القرني، **العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1986، ص 25.

"فإذا بدا لا تستقلوا حجمه وحياتكم فيه الكثير الطيب"[1].

والكاتب رفاعة الطهطاوي يتمتع بأسلوب أدبي ضعيف حيث يذكر المواقف والمشاهد ثم يتبعها حكما وأشعارا وأمثال تختلف باختلاف ذلك الموقف .

في بداية الكتاب نجد خطبه يثني في بدايتها على محمد علي باشا يقول فيها:

"ابقاه ربي بخير وعزة وسعادة"

"بجاه خير البرايا والآل اهل السيادة"[2].

ويذكر بعدها الشيخ العطار "أشار على بعض الأقارب والمحبين، لاسيما شيخنا العطار، فإنه مولع بسماع عجائب الأخبار، والاطلاع على غرائب الآثار، ان أنبه على ما يقع في هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة، ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا هذه البقاع التي يقال فيها عرائس الأقطار، وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليه طلاب الاسفار[3].

فكان التلميذ المطيع والابن المحب والمواطن المخلص لبلده فاخذ بالنصيحة وصدق القول.

فهذا الكتاب يعد اوفى مصدر مباشر لدراسة البحث التعليمية المصرية التي ارسلت الى باريس اذ هو ينقل صورة فرنسا في ذلك الوقت ويتحسر على حال العرب ولم يقبل رفاعه من مظاهر التقدم في الغرب الا ما رأى له سندا عقلانيا لا يتعارض والشرع الذي كان يجسده رفاعه بثقافته الدينية مؤكدا ذلك في خطبه الكتاب بقوله: "ولعمر الله انني مده اقامتي بهذه البلاد في حسرة تمتعها بذلك وخلو الإسلام منه... وقد أشهدت لله سبحانه وتعالى على أن لا أحيد في جميع ما أقوله عن طريق الحق"[4].

كثيرون ممّن مارسوا الرحلة لم يكن تدوينهم لوقائع الرحلة سوى نوعا من الفضول لا يتعدى حدود الاستئناس، هذا ما نجده في رحلة الطهطاوي المدونة فقد أشير عليه بالتدوين، فضلا عن أنه لم يكن بصدد نقل دهشته، فالدهشة انسانية وهي المعبر الأول للتقدم وعامل من عوامل تبديل الحال والسير في ركب الحضارة وميادينها، بل إن موضوعية الطهطاوي ودهشته لم تأتي لمجرد التسلية، بل جاءت مصحوبة بحسرة على الفارق الموضوعي بين الشرق والغرب، فاشتملت رحلته على غرض السفر وثمرته،

---

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر، د ط، 1991، ص 5.

[2] المصدر نفسه، ص 2.

[3] المصدر نفسه، ص 3.

[4] المصدر نفسه ص 4.

كان على يقين بأنه أتى للمزج بين حضارته وحضارة الغرب دون أن يفقد الحضارة العربية طمعها وإنسانيتها ومذاقها الخاص، بل الاستزادة والرقي.

فإن رحلة الطهطاوي.... هي أول الأصوات التي تتحدث الى المصريين، وإلى كافة المسلمين وقد أعلن هذا الصوت نهاية حصار الظلام على مصر[1].

رتب الطهطاوي كتابه رحلته بمقدمة فيها عدة أبواب وضح فيها سبب الارتحال الى بلاد "الإفرنج" أوروبا التي هي ديار كفر وعناد[2] على حد قوله، ويضيف قائلا "البلاد الإفرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة في العلوم... وكما ان البلاد الإسلامية برعت في العلوم الشرعية والعمل بها وفي العلوم العقلية، وأهملت العلوم الحكمية بجملتها، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه"[3].

وقد أورد في المقدمة كذلك حكمه ما زالت مجتمعاتنا تتداولها وهي حكمة تحفيزية من أجل طلب العلم وهي "أطلب العلم ولو في الصين"، ثم يقدم توضيحا حولها، أن الإنسان إذا أمن على دينه فلا ضرر في السفر.

ثم يذكر مدى الحاجة إلى معرفة العلوم والفنون التي تجهلها بلاده وضرورة الاطلاع عليها والاستفادة منها لإطفاء عطش امته لها اذ يقول: "وهذه الفنون إما واهية في مصر أو مفقودة بالكلية"[4]

ومن المؤكد أن هذه العلوم والفنون سوف تكون باللغة الفرنسية، إذا سوف يكون عمله الرئيسي هو الترجمة، التي هي علم من هذه العلوم وقد كانت تحتل المرتبة الخامسة عشر من بين العلوم التي ذكرها الشيخ الطهطاوي: " يعني ترجمة الكتب وهو من الفنون الصعبة"[5] .

ثم يثني على محمد علي لإرسالهم إلى بلاد الإفرنج وتفضيلها على غيرها من البلدان.

ثم ذكر بعض أسماء من كانوا رؤساء هذه السفرة، ثم المقصد منها، وهو مرام الكتاب، إذ يقول فيه "في السفر من مصر إلى باريس، وما رأيناه من الغرائب في الطريق، ومدة الإقامة في هذه المدينة بسائر العلوم

---

[1] عزت قرني، **العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة**، ص 26.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 7.

[3] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 10.

[4] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 15.

[5] المصدر نفسه، ص 17.

الحكمية والفنون والعدل العجيب والإنصاف الغريب الذي يحق أن يكون من باب أولى في ديار الإسلام وبلاد شريعة النبي"[1]

ويحتوي هذا الكتاب على ست مقالات وكل مقالة حوت عدة مفاصل بادئا من نقطة الانطلاق الإسكندرية ووصفها، ثم مسيرهم في البحر حتى وصولهم فرنسا ونزولهم هناك ومرورهم بمرسيليا حتى استقر بهم الحال في باريس، وهي التي باشر في وصفها وصفا لم يكد يغادر صغيرة ولا كبيرة في النظم والهياكل والعمارة والعادات والشرائع، والفنون وصفا جعل من باريز نموذجا للرقي، وحسن العمارة وموطن الحضارة، من أجل تحريض الهمم وتحفيزها لاقتفاء طريق القوة والتمدن، وعدم جعل الغفلة مانعة عن الأخذ بسنن الترقي.

فهو يبدو من هذا الوصف شديد الانبهار، وقد فضل ألا يذكر في الكتاب إلا ما كان موضع إعجاب، وتجنب الحديث قدر الإمكان عما ينفر القارئ العربي، فيحاول الرحالة رصد كل ما شاهدوه وسمعوه، وسجلوا كل ما تقع عليه أعينهم من مشاهد ونقلوا ذلك إلى كل حالات دون رحيلهم[2].

ويختم الطهطاوي كتابه بمجموعة من الملاحظات التي دونها بعد عودته إلى مصر، وقدم شكرا للخواجة 'جومار' على مساعداته، وبالدعاء لله أن يغدو كتابه مقبولا لدى الخاص والعام، وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام مفاده:" متع الله مصر بما أفاضه عليها ولي النعم، من حسن التمدن والعدل وأمد لها أيامه بجاه خاتم الرسل الذي مولاه دل "[3].

ولكن ربما أعظم مساهمات هذا الكتاب الفريد، أنه الأول في تاريخ التأليف العربي الحديث، الذي سيدعو المسلمين، وقد ترجم هذا الكتاب إلى التركية وعرفه بالعربية قراء خارج مصر[4].

ج/ خصائص الرحلة وأسلوبها:

إن من أبرز ما يبدو ومن سمات رفاعة الطهطاوي في هذه الرحلة حبه الكبير لوطنه مصر ورغبته العظيمة في نهضته ويبدو هذا الحب المقيم في قلبه، من خلال الموضوعات التي تعمد تعريف أهله بها، ومن منهجه الذي اتبعه في المقارنة بين كثير من مشاهداته في أحوال باريس وبين أحوال القاهرة وحياة المصريين في أيامه، مما يجعل سمة المقارنة هذه هي من أميز خصائص رحلته، فهو ما إن يتحدث عن نهر

---

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 30.

[2] نوال عبد الرحمان الشوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية**، دار المأمون، الأردن، د ط، 2008، ج 1، ص 272.

[3] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 406.

[4] عزت قرني، **العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة**، ص 27.

السين ومائه والنزهات عليه حتى يصير ذلك في خاطره النيل ونزهته ماء يتحدث عن تربة فرنسا حتى يعقد مقارنه بينها وبين تربة مصر وهو يفضل وطنه على كل ما سواه، فيقول« لو تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسه بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان الناس في قولهم مصر أم الدنيا»[1] وهذا المنهج في المقارنة يطول ويتسع ليشمل حمامات باريس والقاهرة ونصارى باريس وقبط مصر، وبيوت الفرنسيين بلطفائها مع بيوت المصريين وغنى الفرنسيين الفاحش حتى أن المتوسط منهم اغلى من تاج عظيم من تجار القاهرة، ويبلغ به الأمر درجه التحسر وهو يرى ساحة باريس ترش بالماء وقت الحر فيقول:" أن مصرنا اولى بهذه لغلبة الحر".

ويصل الى حد الجرأة عندما يقارن بين المصروفات الباهظة للمسؤولين في مصر والتوفير المتبع في فرنسا للمصاريف الوزير عندهم ليس له أزيد من خمسة عشر خادما حيث ان العسكري بمصر له عدة خدم ومن أطر مقارنته تلك المقارنة التي عقدها بين التواتر وفي فرنسا ولاعبيه من النساء والرجال بين العوالم وأهل السماع في مصر[2] وكل ما يذكره في الرقص في كل من فرنسا ومصر، ويقول " ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق، فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات وأما في باريس فإنه مخصوص لا يشم منه رائحة العاهر ابدا وكل انسان يغرم بامرأة يرقص معها"[3]. الخاصية الثانية التي تتسم بها هذه الرحلة هي الاستطراد وقد تعمد صاحبها ذلك تعمدا يقصد النفع فهو يقول: " ووشحتها ببعض استطرادات نافعة، واستظهارات ساطعة" ومن أمثلة ذلك ما يريده كيفية معرفة درجات الطول والعرض مكان من الأمكنة وإضافته في ذكر فروق الساعات بين مدن العالم، وهو بصدد ذكر درجة العرض وخط الطول الذي تقع عليه باريس، وهو يعرض ذلك وإن كان يخرجنا عما نحن بصدده كما يقول ومن أمثلته أيضا حديثه عن اللسان الفرنساوي وقد أورد في ذلك نبذه طويلة عقد فيها مقارنة بين جمال المحسنات في اللغة العربية باعتبارها ركيكة في الفرنسية وترجمة بعض الأشعار الفرنسية الى اللغة العربية وأفاض في تبين أثر الترجمة على ما يترجم من لغة إلى أخرى. ومثل ذلك إيراده خطبة المستشرق (دي سياسي)، في شرح مقامات الحريري لمجرد ذكره له.

---

[1] د. حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ص 77.

[2] المصدر نفسه، ص 78.

[3] المصدر نفسه، ص 78.

الخصيصة الثالثة لابد من أخذها بعين الاعتبار في كتاب رفاعة الطهطاوي اقصد كثرة إرادة الشعر سواء من نظمه أو من نظم سواء وهو يشير الى ذلك وقد امتلأ كتابه في هذا الشعر الشعر لمناسبات مقبولة أو بمناسبات يفتعلها وهو حتى في تلك المناسبات المقبولة يفيض في الاستشهاد بالشعر كان هدفه عرض معارفه في هذا المزمار ومما تجدر الإشارة إليه أن استشهاده بالأحاديث وتضمينه للآيات القرآنية قليل الى حد كبير ولا ربما يعود ذلك الا انه يتحدث على مجمع اجنبي ولا يعني هذا انه كان بعيدا عن تأثير الدين بل على العكس فان كثيرا من أحكامه وآرائه كانت محكومة بمفاهيم الدين لديه وأثرها عليه أضرب مثلا على ذلك مفاضلته التي يقيمها بين أقسام الدنيا الخمسة ويجعل فيها مزية الإسلام وتعليقاته الفيصل والمعيار يقول فحينئذ تكون اسيا أفضل الجميع ثم تليها أفريقيا لإعمارها بالإسلام والأولياء الصالحين خصوصا لاشتمالها على مصر و القاهرة ثم تليها بلاد القوة البلاد بالقوة الإسلام وجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الإسلام فيها ثم بلاد الجزائر البحرية لإعمارها بالإسلام ايضا مع عدم تبخرها في العلوم كما هو الظاهر فأدنى الأقسام بلاد امريكا مما يمكن أن نعتبره خصيصة رابعة من خصائصه في هذه الرحلة[1].

أما من ناحية أسلوبه، استعمل الأسلوب التعبيري فانه يمكن ان يقال ان عباراته بسيطة لم يتكلف فيها التنميق ويطغى هذا الأسلوب على الجزء الأكبر من الكتاب وربما كان ذلك لكثرة ما في جعبته من معلومات يريد سردها والإخبار بها مما لم يتح له مجالا للعناية البيانية ولا شك أن صلته باللغة الفرنسية، وترجمتها عنها أثر في ذلك أيضا وقد حاول فعلا ان يسلك في كتاب سلوك طريق الإيجاز وارتكاب السهولة في التعبير، حتى يمكن لكل الناس الورود على حياض ومع هذا فإننا نراه تعمد السجع في بعض أجزاء الرحلة كما في استهلالها ووصفه الأشخاص أحيانا الى درجة ان السجع يهبط بعبارات يتدنى بفكرته بل يخلق تناقضا بين أجزائها فتكاد تنسحب إلى غير المقصود منها ومن ذلك ما يقوله في أحد زملائه من أفراد البعثة، إن حضرة "مصطفى مختار بيك أفندي"، قد بلغ درجة كبار الفرنساوية في علم ادارة المهمات العسكرية وقد حاز مرتبة سامية من العلوم التدبيرية وجامع لمعارف الديار الإفرنجية وسع الله به دائرة المعارف بممالك مصر والشام وجعله مقبولا لدى ولي النعم الاكبر وسر عسكره نجله الضرغام وليس كل من اكتسب المعارف يصدر عنه عمل اللطائف قال الشاعر:

[1] د. حسني محمود حسني، **أدب الرحلة عند العرب**، ص 79.

"وعادة السيف أن يزهو بجوهره وليس يعمل الا في يدي بطل"[1]

وبالإضافة الى هذا فنحن نقع له على بعض ترجمات في لغة ضعيفة ركيكة وحتى فإنه لا يمكن القول بأن هذا الضعف والركاكة يتسربان إلى بعض عباراته مما يستغرب على الشيخ أن يكتب مثلها، كما في ترجمته (القانون نامه) الذي صنع لهم لتدبير شاني دخولهم وخروجهم بعد انتقالهم الى البنسيونات هذا، وفي الوقت الذي نرى الشيخ يدخل بعض الألفاظ الأجنبية في كتابه مثل (تياتر، وسبكتاكل، ورسطراطورات، بمعنى بيوت الأكل، وكوليج، وجرنال، والبوليتيقه، وإليجيا) فإننا لا نعدم بعض الأخطاء اللغوية من مثل قوله: "وصورة التلميذ رفاعة أنه قرأ كذا في المجلس الدفتران كذا[2].

تقويم الرحلة:

تستمد رحلة رفاعة الطهطاوي قيمتها من مصدرين رئيسين، أولهما العصر الذي تمت وكتبت فيه، وثانيهما صاحبها الذي عاشها ودونها.

وبالنسبة لزمن الرحلة، فمعروف أنها تمت أيام محمد علي والي مصر، بعيد إخراج حملة نابليون الفرنسية من مصر في أوائل قرن التاسع عشر، ومهما قيل في اعتبار هذه الحملة باعثا من بواعث النهضة العربية الحديثة في مصر بخاصة، فإن هذا الانفتاح الذي كانت بعثة الطهطاوي إحدى ثمراته كان يعني أكثر من مجرد تخطي أسوار الجهل التي تخنق البلاد والانتقال من مكان الظل الكثيف إلى تحت الشمس، كان يعني ورود منابع العلوم الأصلية في مواردها الأولى في وقت كان حاكم البلاد يحاول اعتراف شيء من هذه المناهل أو حتى بعض قنواته لمصلحته أو لمصلحة البلاد معه، فبدأ حركة إحياء وبعث نهضة أراد لهما لون تللك المنابع، وطعم مناهلها.

وعندما نقول أن الطهطاوي هو صاحب هذه الرحلة فإنه يجب علينا ان نتنبه إلى أمور عدة اجتمعت في ابن الصعيد هذا فهو كما يبدو رجل ذكاء ونشاط ومثابرة، تميز بروح شرقية صميمة، وجاء شيخه حسن العطار، بما عرف عنه من رحابة أفق وحب للعلم والتغيير ليشحذ همته المخلصة، ويوجه ذكائه الخصب[3]، ففتح ذهنه وقلبه على علوم الغرب، وشوقه إلى آفاقها الرحبة، فراح بهذه الأخيرة وبهذه النفس وبهذا الاستعداد والتهيؤ يضم ما ينشر به من ثقافة الغرب إلى نفس إسلامية شرقية واعية، مدفوعا بحب أهله ووطنه لينقل إليهم ثمار تقدم البشرية على مر الزمان. ومن هنا عكف على محاولة إفادة بلاده

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 80.

[2] المصدر نفسه ، ص 80.

[3] المصدر نفسه، 81.

من كل ما استحسنه من أمولر البلاد وعوائدها على حسب ما تقتضيه الحال. ومن المعلوم انه لا يستحسن إلا ما لم يخلف الشريعة المحمدية[1] فأشار إلى ما يعم فرنسا من كمال العدل "فهو المعمول عليه في أصول سياساتهم فلا تطول عندهم ولاية ملك جبار أو وزير اشتهر بينهم انه تعدى مرة وجار". الطهطاوي عندما يتعرض لهذه الموضوعات في مثل هذا الوضوح والصراحة، كما فعل أيضا عندما تحدث عن ثورة1830م في فرنسا وطرد الملك عن العرش، إنما يقدم نموذجا فذا على الجرأة والتفاني في الإصلاح. ولم ير شيئا مفيدا أثناء رحلته غلا وحاول ان يعرف أهله عليه، حتى حب الفرنسيين للعمل، حاول أن يحارب به ما تستمرئه النفس الشرقية عموما من خمول وتوازنن خصوصا إذا كانت من خاصة الناس، فيقول: "اعلم أن من المركوز في أذهان هؤلاء الطوائف محبة المكسب والشغف به وصرف الهمة إليه بالكلية ومدح الهمة والحركة وذم الكسل والتواني حتى كلمة التوبيخ المستعملة عندهم على ألسنتهم في الذم هي لفظة الكسل والتنبلة. وسواء في محبة الأشغال العظيم والحقير ولو حصل من ذلك مشقة او مخاطرة بالنفس"، وإذا تذكرنا أن الطهطاوي كان شيخا من خريجي وأساتذة الأزهر أدركنا ما يلفت انتباههم من مظاهر الحياة الباريسية التي أراد أن يطعم بها الروح الشرقية مما لا يخالف نص الشريعة المحمدية.

ومن هنا وعلى أساس هذا الفهم شملت رحلته السفر ووقائعه، وغرضه وثمرته، وإيجازا للعلوم والصنائع المطلوبة، ولا شك أن لدراسة الطهطاوي الأزهرية، ولاطلاعه على ترتيب المؤلفين القدماء لكتبهم أثراً في توجيهه إلى ترتيب كتابه هذا الترتيب الذي بدا عليه، والذي لا يخفى حتى على المتأمل في فهرسه، وإن مازج تنسيقه ما أشرت إليه من استطرادات ليست في محلها، ونحن وإن كنا نحمد له هذا التنسيق، فإننا نحمد له أيضا وقوفه عند بعض الأمور دون أخذها مأخذ التصديق، كما فعل فيما ورد على لسان "عمرو بن العاص" بأن في الإسكندرية آلاف الحمامات والقصور والميادين والبقالين، فقال في ذلك: "لعله من مبالغات المؤرخين"، وفيما ورد عن القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات"، حيث قال بأن النخيل لا ينبت إلا في بلاد الإسلام،[2] فقال بأنه وجد عند كشف أمريكا بها غير منقول كما هو الظاهر من بلادنا وإذا كنا نحمد له ذلك، فإننا نأخذ عليه ذكره حرق "عمرو بن العاص"، لمكتبة الإسكندرية دون محاولة تحقيق هذا الخبر، لا سيما ولبعض المؤرخين رأي فيه، وكذلك ما أخذه عليه دي ساسي من

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 82.

[2] المصدر نفسه، ص 83.

أنه ربما حكم على سائر أهل فرنسا بما لا يحكم به إلا على أهل باريس والمدن الكبيرة، وإن كان ذلك، كما فسر له دي ساسي نفسه، نتيجة متولدة ضرورة من حالته التي هو عليها، حيث لم يطلع على غير باريس وبعض المدن الأخرى[1].

المبحث الثالث: الأنا العربية والآخر الغربي بين الائتلاف والاختلاف

وصف الغرب ومقارنتهم بالعرب:

يذهب أحد الباحثين إلى عقد مقارنة بين رحلة الطهطاوي ورحلة ابن فضلان فيقول :"وتذكرنا رحلة الطهطاوي "القرن الثالث عشر للهجري" برحلة ابن فضلان "القرن الرابع الهجري"، وما بينهما من تشابه واختلاف، فكلتاهما قد اتبعت من قبل الحاكم، إلا أن ابن فضلان ذهب ليعلم أما الطهطاوي فقد ارتحل ليتعلم، وتتصل هذه المقارنة في رأينا بين وضعين حضاريين مختلفين ، فابن فضلان المعلم قد عاش إبان حقبة الحضارة العربية الإسلامية الزاهية، أما الطهطاوي الطالب فقط عاصر اضمحلال تلك الحضارة، والرغبة في إصلاح الوضع الحضاري الذي آلت إليه مصر في ذلك الحين وكان مفتاح هذا الإصلاح في كشف ثقافة الغير المتقدم[2].

فما يميز هذه الرحلة رحلة الطهطاوي أنها تستدعي ذلك الفارق بين مصر خاصة، والعالم الإسلامي عامة، فلم يصف إلا شيئا مفقودا أو معدوما في هذه البلاد، ليؤكد أن الأمر يتعلق بعملية مقارنة بامتياز فأصبحت المقارنة أساس الوصف[3].

فإن أغلب ما استوقف رحلاتنا هو معالم المدينة الباريسية فوصفها وصفا شاعريا دقيقا، ومنه فإن أنجح أدب هو الذي يصف بلادا أو شعوبا أو مناطق ومناظر، فلما توجد فرص للقارئ كي يزورها

---

[1] د. حسني محمود حسين، المصدر السابق، ص 83.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي**، دار الوفاء، ط1، 1995، ص 183.

[3] حسين محمد فهيم، **ادب الرحلة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، 1989، ص 176.

ويتجول فيها، فيجعل كاتب الرحلة قارئه أكثر ارتباطا وجاذبية وتشوقا لقراءة الرحلة مدركا شدة الفجوة بين العالمين[1].

فقارن بين باريس ومصر مقارنة توحي أنه كان يتمنى أن يكون تغيير مصر اقتداء بالنموذج الفرنسي.

فلم يترك الطهطاوي الانبهار ليهزمه بل أسرع ليتعلم لغة القوم ليأمنهم و يعرفهم ويرسم بقلمه أفكارهم، فبدأ تعلم اللغة الفرنسية قبل الدخول إلى باريس حيث يقول:" ابتدأنا في مرسيليا قبل وصولنا إلى باريس وتعلمنا فيها نحو ثلاثين يوما التهجي، ثم لما ذهبنا إلى باريس مكثنا جميعا في بيت واحد، وابتدأنا في القراءة، فكانت أشغالنا مرتبة على هذا الترتيب وهو أنا لنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين، ثم بعد الغذاء نتعلم درس كتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنساوية، ثم بعد الظهر درس رسم نحو فرنساوي، وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب و الهندسة[2].

وقد اتبع شيخ العرب برنامجا مكثفا مكنه في مدة خمس سنوات الظفر بالثقافة والعلوم الفرنسية وفي مقابل تعلم الفرنسية، إلا أنه يفخر بلغتنا العربية مقارنة بالفرنسية، وإذ يرى أن لسان العرب هو أعظم اللغات، ويرى أن اللغة الفرنسية سهلة التعلم ، إذا ما قورنت باللغة العربية ومن جملة ما يعين الفرنساوية على التقدم في العلوم والفنون، سهولة لغتهم وسائر ما يكملها، فإن لغتهم لا تحتاج إلى معالجة كثيرة في تعلمها، فأي إنسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها أن يطالع أي كتاب كان، حيث أنه لا التباس فيها أصلا فهي غير متشابهة إذا أراد المتعلم إن يدرس كتابا يجب عليه ان يحل ألفاظه أبدا فإن الألفاظ مبنية بنفسها وبالجملة ...بخلاف اللغة العربية مثلا فإن الإنسان يطالع كتابا من كتبها في علم من العلوم يحتاج أن يطبقه على سائر آلات اللغة[3].

---

[1] مجدي وهبة، **الأدب المقارن**، دار نوبار، القاهرة، ط1، 1991، ص 22- 23.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، الجزائر، د. ط، 1991، ص 262.

[3] المصدر نفسه، 235.

ويوضح الاتجاه إلى باريس بالذات دون سواها من مدن فرنسا حيث يقول:" ثم إن هذه المدينة من أعمار مدائن الدنيا، ومن أعظم مدائن الإفرنج الآن، وهي كرسي وبلاد الفرنسيين وقاعدة ملك فرنسا. يلخص الطهطاوي باريس فعلا إذ يقف على كافة وجوهها بعين نقدية مقارنة.

حيث وقف طهطاوي يشاهد فضل العلوم الطبيعية والرياضية على المدينة وعلى أهلها، فأرجع سبب تقدم المسلمين في العصر العباسي إلى اهتمام الخلفاء بالعلوم، وربما انشغالهم بها... فالعلم لا ينشر في عصر إلا بإعانة صاحب الدولة لأهله، بل من مزاياها أنها تحمل كل انسان على تعهد تعلمه حتى يقرب من منصب أعلى من منصبه... وقد ذكر المؤرخين أن مصر من سالف الزمان كانت على هذا المنوال[1].

وكما أنه معروف أن البلاد الاسلامية تهتم بالعلوم الشرعية نظرا لخدمتها للدين الاسلامي، من أجل العلم بها، ونالت اهتمام العديد من العلماء، فلم يكن للعلوم العقلية الحظ الوافر من هذا الاهتمام فظلت بحاجة إلى البلاد الغربية كي تكمل لها الجزء الناقص، وبذلك تعريف خلو بلادنا عن كثير منها وأن الجامع الأزهر.. كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العلوم العقلية... والعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم فهي دائما في الزيادة[2].

فعلى الإمام الازهري أن يهتم بمعرفه علوم كثيرة يجهلها، وألا يلتقي بالعلوم الشرعية فقط.

فقد قسم الطهطاوي العلوم كلها رآها عند الغرب إلى قسمين: قسم عام للتلاميذ وهو الحساب والهندسة والجغرافيا و الرسم، إذ يقول: "فأولادهم دائما متأهلون للتعلم و التحصيل"[3]وقسم آخر متوزع عليهم وهو عدة علوم: العلم الأول: علم تدبير الأمور الملكية، ويتشعب منه عدة فروع، الحقوق الثلاثة التي يعتبرها الإفرنج: الحقوق الطبيعية والحقوق البشرية والحقوق، وكذلك علم تدبير العسكرية، علم القبطانية، والأمور البحرية من المياه، وهو صناعة القناطر والجسور والأرصفة الميكانيكية، وهو آلات الهندسة وجر الأثقال وهندسة العساكر وفن الرمي بالمدافع، فن سبك المعادن لصناعة الأسلحة

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 142.

[2] المصدر نفسه، ص 237- 238.

[3] المصدر نفسه، ص 236.

والمدافع، علم الكيمياء وصناعة الورق، فن الطب وفروعه، فن التشريح والجراحة وتدبير الصحة، علم الفلاحة، علم تاريخ الطبيعيات وفروعه: مرتبة النباتات، مرتبة المعادن، صناعة النقاشة وفروعها : فن الطباعة وفن الكتب العلمية، ليخلص إلى أن هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الإفرنج ناقصة أو مجهولة بالكلية عندنا، لذا فهو يرى أن من جهل شيئا فهو دون من أتقن ذلك الشيء، وكلما تكبر الإنسان عن تعلمه شيئا مات بحسرته، فالطهطاوي يطمح إلى امتلاك العرب لتلك العلوم لذا خاض في شرحها شرحا مفصلا.

وفي سياق الحديث حول العلوم فإن الطهطاوي ينقل صورا للمظاهر المادية تشمل أماكن الفنون والعلوم من أوبرا أو مسارح، ومظاهر التقدم العلمي ومراكزه، فيذكر مجامع العلماء في باريس والكليات والجمعيات العلمية المختلفة، والمدارس المتنوعة، وخزائن الكتب والمتاحف العلمية، وبستان النباتات، وحدائق الحيوان للتجارب الزراعية والحيوانية والمرصد السلطاني، ودكاكين الكتيبة وخاناتهم وكثرة المطابع والتأليف. وإن كان المقصود من أكثرها الكسب لا ينفع [1]والكوليج الذي هو عبارة عن مدارس التعليم يتخرج منه أكاديميون حيث يقول:"أكدمة الفرنسيين"، وهم كبار علماء الفرنساوية كما إذا قيل "أكدمت مص"، والمراد بها الجامع الأزهر، لأن المراد به ديوان أكابر علماء مصر[2]، ويذكر من الأمور التي تساعد على التثقيف وفتح العقول التي تتجسد فيها حرية الرأي، 'الجنرالات' بالمفهوم الفرنسي.

وهذا ما يسوقنا إلى الحديث عن الحرية بالمفهوم الفرنسي الباريزي الذي جاء به الطهطاوي، فيعبر عن ذلك قائلا:" من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية، وتقدمهم في الآداب الحاضرة، وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف.

ومن جهة أخرى يوضح قوة الشعب الفرنسي وحقوقه، وواجبات الحكام التي لا وجود لها في البلاد العربية ثم يبين سائر الفرنسيين متساوون أمام الشريعة، بهذا هو ينقل إلى مصر شيئا جديدا لم يعتد

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي**، ص 76.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 245.

عليه شعبها، فيقول واصفا قاصدا توعية الأمة العربية: "الفرنساوية متساوون في الأحكام على اختلافهم في العظم والمنصب والشرف والفن".

وقبل مغادرته فرنسا انتهت ثورة 1830، هي ثورة الشعب الفرنسي على حكومة الملك "شارل العاشر"، وعلق على أسباب خروج الفرنسيين عن طاعة ملكهم من تعدد الأحزاب، وتشديد الرقابة على الصحف والمطبوعات، وإضراب العمال وغصب الشعب على على الحكومة وانتشار رسوم الصور الساخرة ضد الملك للمطالبة بالإصلاح كما لاحظ أن الأسلوب العلمي هو أكثر الطرق للإصلاح السياسي، كما نقل لنا أنماط الحكومة الفرنسية في الديمقراطية، حيث يدافع عن الملك ما يسمى "ديوان ألبير" أي "مجلس الأعيان "، ويدافع عن الشعب "مجلس النواب" أو "ديوان العملات "كما يسميه، ليكون في ذلك عبرة لمن يرغب، وتعرف على مواد الدستور التي كان أساسها العدل والمساواة والإنصاف، حيث إن الدعوة الشرعية تقام على الملك و ينفذ عليه الحكم كغيره، كل ذلك كان من تعمير الممالك وراحة العباد، فلا تسمع من يشكو أبدا فالعدل أساس العمران.

ومما ساعد الشعب وسانده، "ظهور بعض كازيطات الحرية آمرة بعصيان الملك والخروج من طاعته ومعددة لمساويه وفرقت على الناس من غير مقابل".

ولا يغفل ما يتصل بمبدأ الحرية ينتقل إلى وصف جو باريس الممطر المغيم طيلة الشتاء في غالب الأحيان، وقد كان قبل ذلك قد حدد موقعها الجغرافي بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، وظروفها المناخية التي كانت سببا في تحديد شكل المباني المنحدر السقوف، وشكل الشوارع المبلطة بالحجر والمزودة بمجار تحمل الماء إلى البالوعات، ويقارن جوها بحر القاهرة قائلا:" وإن كان هواء باريس في الجملة طيبا مناسبا للصحة، ومع أن جرها لا يصل إلى حر القاهرة في الغالب فهو غير مألوف أبدا".

وبهذا هو شديد التعظيم لبلاده العربية والحب لوطنه يفضله على سائر الأوطان، فعتد حديثه عن نهر السين، يثير في خاطره نهر النيل الذي يعد من رموز الجمال والبهاء لمصر، فيصفه بفخر واعتزاز، "وشتان أيضا بين ماء النيل والسين من جهة الطعم وغيره، فإن ماء النيل لو كانت العادة جرت بترويقه قبل استعماله، كما هو العادة في ماء نهر السين لكان من أعظم الأدواء".

إن من أبرز ما يبدو من سماء رفاعة الطهطاوي في هذه المرحلة، حبه الكبير لوطنه مصر، ورغبته العظيمة في نهضته ويبدو هذا الحب المقيم في قلبه من خلال الموضوعات التي تعمد تعريف أهله بها. [1]

ويصل به حب الوطن والإخلاص له في رغبته الكبيرة في نهضته ورقيه من أجل الوصول إلى أعلى مراتب الحضارات المتقدمة، حيث أنه ما يشاهده على أرض واقع باريس يتمنى تحقيقه على أرض وطنه، إذ يقول: " فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسه بلاد الدنيا، كما هو شائع على لسان الناس من قولهم مصر أم الدنيا".

أما بخصوص العادات الاجتماعية في المنازل، يتطرق إلى وصف غرف الاستقبال في بيوت الفرنساوية وانبهاره بجدران المنازل المزينة بورق منقوش، وأرضية بخشب مصقول، والسجاجيد النفيسة واحتواء كل منزل على مكتبة تضم أرقى أنواع الصحف والكتب، كما أثنى على ربة المنزل أو سيدة المنزل، كيف تقبل لتحية الضيف أنيقة نضرة وسط أثاث يماثلها في الجمال، لا يملك إلا أن يقارن بينها وبين غرف الاستقبال في بيوت القاهرة معلقا بقوله: " فأين هذه الأرض بما احتوت عليه من اللطائف من أرضنا التي يحيا فيها الإنسان بإعطاء شيق الدخان من يد خادم في الغالب قبيح اللون".

ويذكر أن الفرنسين لا يشغلون السودان كخدم عندهم، لأن الجارية السوداء في نظرهم غير نظيفة. ويقوده ذلك إلى الحديث عن أشكال النظافة في باريس التي تذكره بأشكال الوساخة في مصر.

ويقارن بين اتساع الميادين النظيفة ووساختها في المدينة التي فارقها، "وفي هذه المدينة عدد فسحات عظيمة تسمى المواضع يعني الميادين، كفسحة الزميلة بالقاهرة، في مجرد الاتساع لا في الوساخة"[2].

وإلى جانب الحديث عن النظافة يخصص فصلا كاملا يتحدث فيه عن عادات الطعام في باريس، " ذلك لأن الطعام له ولا شك أهمية تتعدى كونه وسيلة لتغذية الجسم بغية الحياة، ولأن

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي**، ص 77.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 91.

الطعام يرتبط أيضا بالبيئة والاقتصاد، وبالدين والمعتقدات الشعبية، وربما بكافة مظاهر الحياة الانسانية المادية والفكرية وعلى هذا الأساس يشكل الطعام مركبا حضاريا"[1].

فمثل إعجابه بآداب الأكل ودهشته بنظام المائدة وترتيبها بالأواني غير المعتاد عليها، وطريقة تقديم الطعام، وتعرفه على سفرة جديدة لم يعتد عليها في بلده حيث من عادة أهل بلده الجلوس على السجادة، واعجابه لخبز الحنطة التي يطحن في طواجين الهواء والماء وبخبزالفران ويبتاعونه من دكانه نظرا لانشغالهم بما هو أهم من صناعة الخبز، ولاحظ تنوع الأطعمة ولو عند الفقراء، يورد إلى جانب ذلك اشمئزازه من بعض طعامهم الذي لم يطب له، مثل طريقة ذبح الثيران، إذا يقول عنها: " يضربونها بمقاطع حديد في وسط رأسها فتدوخ"[2].

ويتحدث كذلك عن العادات الصحية التي لم تعرفها مدينته في ذلك الوقت يقول: " ولنذكر نبذة من فن قانون الصحة وتدبير البدن حتى تتم فائدة هذه الرحلة، وهذه نبذة ترجمتها في باريز لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها، لصغر حجمها فهي وإن كانت تخرجنا عما نحن بصدده إلا أن منفعتها عظيمة وثمرتها جسيمة"[3]، ويضعها الطهطاوي تحت عنوان 'نصيحة الطبيب' ويلخصها في ست مواد، وهذا يدل على حرصه الشديد في نقل كل ما يعود بالنفع على أمته.

ومن خلال معايشته اليومية لسكان مدينة باريس تبين له اتصاف شعبها بشدة ذكائهم وتأصل الثقافة فيهم، وتوقهم إلى الفهم والاستطلاع والوقوف على كل طريف.

وتحدث الطهطاوي عن طبيعة الحياة الاجتماعية لأهل باريس وضروبهم الأدبية والفنية، وعن صفاتهم وطبائعهم من حب للمعرفة وحب للتعبير وحب المغامرة وإكثارهم من الرحلات ومعرفة الغرباء، والاختلاط بهم وحب العمل حيث يقول: " وسائر الخلق بباريس يحبون الكسب والتجارة سواء الغني أو الفقير"، غير أنه لاحظ تبذيرهم للمال في طلب اللهو، إضافة إلى احترامهم للنساء وتقديرهم لهن، لكن حسب وصفه الرجال عبيد النساء يثقون بهن ويدللوهن، فعن النساء يقول : "إذا دخل بيت

---

[1] حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، ص 129.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 160.

[3] المصدر نفسه، ص 187.

صاحبه فإنه يجب عليه أن يحيي صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما أمكن، فدرجته بعد زوجته أو نساء البيت ويرى أنهم أقرب للبخل من الكرم والحقيقة أن الكرم عند العرب"[1].

وإذا كان يرى أن اضطراب الأخلاق نتيجة اجتماعية طبيعية لبيئة المدن مثل باريس وبجانب عقائدهم فهم تقدميون تطوريون يؤمنون بالعقل ويرفضون ما لا يقبله العقل من الخوارق، ويأخذ عليهم قولهم بأن الحضارة في المجتمع الراقي تؤدي دور الدين في المجتمع البدائي، ويستنكر رفاعة إنكار بعضهم القضاء والقدر، ثم راح يصف مظهرهم من بياض البشرة لعدم اختلاطهم بالزنوج، إلى رقة نسائهم اللطيفات اللواتي يشاطرن الرجال متعة النزهة والرقص فيخوض في الحديث عن جمال نساء باريس وأزيائهن وبعض عاداتهن، حيث يقول: " ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة ... وملابس النساء ببلاد الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاع ة"، إلى جانب ذلك يقول: "والغائب أن لبسهم ليس له زينة وإنما هو غاية النظافة"[2]

لكنه يمتدح عند الفرنسيين وفاء الوعد وعدم الغدر وقفة الخيانة، إلى جانب قلة عفاف نسائهم وعدم غيرة الرجال إذا يقول: " ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة"، ويشيد بكثرة الفواحش والبدع على الرغم من أنها فرنسا أحكم سائر بلاد الدنيا، فقد وصل بهم الظلال إلى اعتبار عقول علمائهم أعظم من عقول الأنبياء، ولم يفته استعراض مظاهر احتفاء البارسيين بالفن فعدد أنواع التياتر الباريسية من "الأوبرا" إلى "السيرك" وكذلك "البال" أي "حفلة الرقص" وأعجبته بعض الرقصات التي يشترك فيها الرجال والسيدات وهم جميعا في أفخر حللهم وزينتهم، وكأنهم يؤدون حركات رياضية راقية، ومن خلال طوافه بمدينة باريس، وصف لنا حدائقها وشوارعها من "الشانزليزيه" و"البولفار" حيث ينتشر العشاق ليلا، حتى أنه ليأخذه الطرب فيخرج من أعماق ذاكرتهم أبياتا من الشعر القديم عن الليل والغرام، كذلك وصف الحمامات لراحة الأبدان ومدارس الرياضة البدنية كطرق طبيعية للعناية بالصحة، فيقول: " وكانوا أشد

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 165.

الناس مسارعة بما فيه نفع للبدن كالحمامات والمحام الباردة المياه، وترييض الجسم وتعويده على الامور الشاقة"، إضافة إلى ولوعهم لممارسة رياضة السباحة[1] وأثناء تجوله بمدينة باريس عدد لنا الجمعيات الخيرية، ودورها في فعل الخير ببناء المستشفيات وملاجئ اللقطاء والأيتام والشيوخ والمسنين، وجرحى الحرب، ومكاتب إغاثة المنكوبين، ومراكز الإسعاف الأولية، لذلك يقول :" ومعلوم أن مدينة باريس من أعمر المدن وأكثرها صناعة ونجامة، فلذلك كثرت مواصفها المصنوعة لفعل الخير"، ومن مظاهر فعل الخير أيضا يقول:" ومن فعل الخير أنهم يجمعون عند الحاجة أشياء لمن نكبه الزمان حتى يصير بها غنيا".

وما يلفت الانتباه في التخليص الدهشة التي تصيب المتخلف من مظاهر التقدم، وكيف أنها تظل حالا مقترنة بالإعجاب الذي تعجز الكلمات عن التعبير عن خصوصيته الشعورية، حيث النظر في المظاهر المادية التي تشمل العمارة، وتخطيط الشوارع، والميادين والمنتزهات والفنادق والعربات، فينبهر بالعمران قائلا: " فهي أعظم عمرانا وأدبا، وإن كانت عماراتها غير جيدة المادة فهي جيدة الهندسة والصناعة "[2]، لكنه يلاحظ نقص حجر الرخام الذي يميز العمارة الحديثة.

[1] رفاعة رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص 181.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، ص 165.

الخـــــاتمة

خـاتمة

من خلال دراستنا لأدب الرحلة في النهضة العربية "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطهطاوي، تمكنا من رصد مجموعة من النتائج أهمها:

– تعد الرحلة باعثا من بواعث النهضة العربية، ومن أمور هذه البلاد وعوائدها ومن المعلوم أنه استحسن ما لا يخالف الشريعة الإسلامية، فغاية الطهطاوي من هذه الرحلة هو رغبته العظيمة في النهوض بوطنه.

– كما تستمد رحله الطهطاوي من عنصرين أساسيين هما عصر زمن الذي كتب فيه، وصاحبها الذي عاشها ودونها.

– اهتمام الطهطاوي كان موجها ملاحظاته ومشاهداته إلى باريس خاصة.

– كما ذكر مجامع العلماء في باريس من كليات وجمعيات علمية، ومدارس مختلفة ومتنوعة وخزائن والكتب وهو ما حرص على تجسيده بعد عودته من مصر.

– ومن الخصائص التي ميزت هذه الرحلة هي خاصية المقارنة بين أحوال باريس وأحوال القاهرة للفت انتباه المصريين إلى عيوبهم ونقائصهم، ونقاط العبور المختلفة وما تحمله من معلومات بدءا من جسور الصور إلى أماكن مفتوحة ومغلقة.

– حث ديار الإسلام على العلوم، والفنون، والصنائع وغيرها.

– أما من ناحية أسلوبه التعبيري فإنه يمكن أن يقال إن عبارته بسيطة لم يتكلف فيها التنميق، لأن هدفه هو سرد الحقائق والإخبار بها، وعن الاقتداء بها.

– أهم خصائص الطهطاوي هو الإحاطة والإسهاب في الوصف، ووصف أماكن كثيرة مثل: المطاعم والبيوت والحمامات والشوارع والحدائق والجسور والمقاهي لرصد الأماكن ووصفها بدقة.

– دعا الشيخ الطهطاوي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، إلى التعرف على الغرب والحضارة الغربية وأسباب التقدم والتطور الغربي، كما نادى بضرورة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وفي النهاية نقول ما ذهبنا إليه في هذا البحث ليس الرأي الوحيد ولا الأخير فيما قدّمه العلامة العربي "رفاعة رافع الطهطاوي"، وإنما هو مجرد وجهة نظر ظرفية، قد يحقّق بدراسات أخرى ما هو أعمق كل ما تطمع فيه هو أن تجد استحسانا وتلق إيجابي عند المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ. **المصادر:**

1. رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر، د. ط، 1991.
2. الدكتور حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1983.

ب. **المراجع:**

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الإسلامية، إسطنبول تركيا، د. ط.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ودار بيروت، للطباعة والنشر، د. ت، مادة (ر. ح. ل).
3. أبو القاسم حوقل، صورة الأرض، دار مك. الحياة، بيروت، 1996.
4. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1994.
5. ألبرت الحواري، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة: كريم عزقون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط. 4، 1939.
6. بطرس البستاني، محيط المحيط، باب الراء مكتبة لبنان ناشرون، رياض الصلح، ط، 1987.
7. بطرس أنجل، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، 1975.
8. بغية الوعاة السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلب، ط. 1، 1964.
9. جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج. 2، الفصل 3.
10. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، 1989.
11. خامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان أنموذجا، شهادة ماجيستر.

12.زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
13.زكي محمد حسين، الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للثقافة، مصر، 2012.
14.سميرة أنساعد، الرحلة في مشرق الأدب الجزائري، دراسة النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د. ط.
15.سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب، القاهرة، د. ط، د.ت.
16.الشوابكة نوال عبد الرحمان، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر للهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط. 1، 1428هـ/ 2008م.
17.صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، دار منشأة المبصرة، ط. 2، 1999.
18.صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة الغربية، القاهرة، مصر، 2001.
19.طلال أحمد خليل، المرتكزات الفكرية الليبرالية، جامعة دبالي، الجزائر، 2016.
20.عزت السيد أحمد، المدخل إلى عصر النهضة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية الجمهورية العربية السورية، ط. 1، 2006.
21.عزت القرني، العدالة والحرية في عصر النهضة، دار عالم المعرفة، بيروت، د. ط، 1980.
22.علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، 1979.
23.فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مك. الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط. 1.2، 2002.
24.مجدي وهبة، الأدب المقارن، دار نوبار، القاهرة، ط.1، 1991.
25.محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938.
26.محمد عمارة، رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1.2.3، 2009.
27.محمد فاروق عبد العليم، محاضرات في الأدب المقارن، مدرس الأدب والنقد بالكلية، كلية الدراسات الإسلامية العربية، بنات بني سويف، ط. 1، 2009.
28. مدرسة الألسن، 1835- 1251هـ.

29.ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعات، مصر، ط2، 1999.

30.ياسمينة فرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، الماجيستر في اللغة والأدب العربي،2012- 2013.

31.يوسف عز الدين: رفاعة رافع الطهطاوي والتعريب، مجلة اللغة العربية، القاهرة، عدد 90، نوفمبر،.2000

الفـــــهرس

مقدمة.....أ

الفصل الأول: الرحلة في التراث العربي **1**

المبحث الأول: الرحلة في الدلالة المعجمية..... 1

المبحث الثاني: تجليات الرحلة في أدب النهضة العربية..... 11

المبحث الثالث: الادب العربي بين التأثير والتأثر..... 19

الفصل الثاني: دراسة في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز **29**

المبحث الأول: رفاعة الطهطاوي ودوره في حركة النهوض في مصر. 29

المبحث الثاني: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز دراسة فنية وجمالية..... 35

المبحث الثالث: الأنا العربية والآخر الغربي بين الائتلاف والاختلاف..... 51

خـاتمة **61**

قائمة المصادر والمراجع..... **63**

الفهرس

الملخص

الملخص

يعد ادب الرحلة لونا من الألوان الأدبية الذي ينتقي فيها الرحالة العديد من المظاهر الثقافية عادات وتقاليد وآثار تلك المنطقة التي زارها، ناقلا الواقع في قالب ادبي خال من التكلف والخيال.

امتد صدى ادب الرحلة حتى العصر الحديث واشتهر في هذا العصر الطهطاوي ورحلته الى باريس، حيث كانت هذه الرحلة مثل المصباح المنير في عصر النهضة بما تحمله في طياتها تغيير وتجديد ورغبة في النهوض بالبلاد العربية.

ولد رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873) في طهطا، أي أنه فيما بين القرية الصغيرة وعاصمة الفكر التنويري الغربي الذي كان قد اكتشف طبيعة الفوارق المادية والثقافية والحضارية في حياة الناس. كما أن الازهري الذي اطلع على إنجازات الغرب في جميع مجالات الحياة والتقدم، حرص بإرادة قوية على التمعن في التراث الفكري والفلسفي الذي رافق وحدد وأثر على تيارات التقدم الأوروبي مما جعله وبعد أن حصل على معرفة دقيقة بالتاريخ والتراث الفكري العربي الاسلامي، وعلى مجريات الواقع الوطني والدولي الذي عاشه، ينتج فكرا ومفاهيم تجعل منه، إلى حد يومنا، مؤسسة لرؤية سياسية واجتماعية وثقافية شكلت قاعدة التيار الإصلاحي والنهضوي التقدمي العربي الاسلامي. كان الطهطاوي أول مثقف عربي تفاعل مع "المسألة الغربية" دون عقد الانبهار المطلق أو الرفض المسبق وهو أول من حاول صياغة مقاربة متوازنة وواعية بمخاطر الانسياق الكامل في تيار الانفتاح على الآخر من ناحية أخرى. وقد كانت تلك المقاربة أهم إنجاز قدمه للتيار الفكري والسياسي الإصلاحي في العالم العربي والإسلامي، بل يمكن اعتبار المؤسس الاول له.

الكلمات المفتاحية: رفاعة الطهطاوي، الإبريز، باريز، رحلة، التراث العربي، تخليص.

Abstract :

Travel literature is one of the literary genres in which the traveler selects many cultural aspects, the customs, traditions and effects of the region he visited, conveying reality in a literary form free of pretentiousness and imagination.

The echo of the travel literature extended until the modern era and became famous in this era of Tahtawi and his trip to Paris, where this trip was like a luminous lamp in the Renaissance, with its folds of change, renewal and a desire to advance the Arab countries.

Rifa'a Rafi' al-Tahtawi (1801-1873) was born in Tahta, that is, between the small village and the capital of Western enlightenment thought, which had discovered the nature of material, cultural and civilizational differences in people's lives. Al-Azhari, who was briefed on the achievements of the West in all areas of life and progress, was keen, with a strong will, to examine the intellectual and philosophical heritage that accompanied, defined and influenced the currents of European progress, which made him, after he obtained accurate knowledge of Arab and Islamic intellectual history and heritage, and the course of the national and international reality. What he lived through, he produced ideas and concepts that make him, to this day, an institution for a political, social and cultural vision that formed the basis of the Arab-Islamic progressive reformist and renaissance current. Al-Tahtawi was the first Arab intellectual to interact with the "Western issue" without holding absolute fascination or prior rejection, and he was the first to try to formulate a balanced approach conscious of the dangers of being completely drawn into the current of openness to the other on the other hand. This approach was the most important achievement he presented to the reformist intellectual and political trend in the Arab and Islamic world, and it can even be considered its first founder.

Keywords: Refa'a al-Tahtawi, al-Abriz, Baris, trip, Arab heritage, Takhlees.